# كيف اهتديت؟

## رحلة النور

## (رحلة حياتي من دياجير الظلام إلى نور الإيمان)


بقلم

حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

ترجمة

سيد حسين حسيني

راجعه

رضائي جعفريان

**عنوان الكتاب:** كيف اهتديت؟

**المؤلف:** حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

**التصنيف:** تاريخ الإسلام - المهتدون

**النشر:** الأول (الإلكتروني)

**تاريخ النشر:** شوال ١٤٣٨ الهجري

**المصدر:** مكتبة القلم الإلكترونية



**تم تنزيل هذا الكتاب من موقع القلم.**

**www.qalamlib.com**

**البريد الإلكتروني:** **www.qalamlib.com**

**مواقع مجموعة الموحدين**

www.mowahedin.com — www.qalamlib.com

www.videofarsi.com — www.islamtxt.com

www.zekr.tv — www.shabnam.cc

www.mowahed.com — www.sadaislam.com

contact@mowahedin.com

# فهرس الموضوعات


**هذا الكتاب**........................................................................ ١

**الإهداء** ........................................................................ ٢

**الباحث عن الحقيقة**........................................................................ ٣

**من أجل عقيدته**() ........................................................................ ٦

**المقدمة**........................................................................ ١٠

**النسب والأسرة** ........................................................................ ١٤

من الصبا إلى البلوغ ........................................................................١٨

البدء في الدروس الدينية ........................................................................١٩

بداية المرحلة الجامعية عام ١٣٦٩ش (الموافق لـ ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ) ....................٢٤

السفر إلى "كنكان" من محافظة " بوشهر" ........................................٣٩

**السفر إلى ديار العشق (بلوشستان)** ........................................................ ٤٢

اليوم الأول ........................................................................٤٥

اليوم الثاني ........................................................................٤٨

اليوم الثالث ........................................................................٥٠

**السفر إلى بيت الله** ........................................................................ ٦٠

وقفة أخرى مع المحاضرة التي استمعت إليها في المدينة المنورة عن الإفك............٦٢

**السفر إلى سورية ومدينة السليمانية في العراق** ........ ٦٧

السفر إلى سورية ........ ٦٨

السفر إلى كردستان (مدينة سنندج الإيرانية ومدينة السليمانية العراقية) ........ ٧٠

**السفر إلى مدينة " مشهد"** ........ ٧٤

**بداية الفصل الجديد والأحداث الجديدة** ........ ٧٦

اللقاء بـ "آية الله وحيد الخراساني" و"آية الله أستادي " ........ ٨٠

السفر إلى كاشان وإلقاء محاضرة في مسجد بكاشان ........ ٨٤

الفصل من الجامعة والسجن والتعذيب ........ ٨٧

السفر إلى بلوشستان ........ ٩٠

العودة إلى طهران ........ ٩١

السجن مرة أخرى ........ ٩١

بيت الأشباح أو غرف التعذيب ........ ٩٣

سجن "إوين" ........ ٩٦

السفر إلى مشهد برفقة الوالدين ........ ٩٨

استشهاد علي رضا محمدي رحمه الله ........ ١٠١

استشهاد أخي "أرسطو رادمهر" ........ ١٠٢

السجن في كرمانشاه ........ ١٠٤

الهجرة إلى باكستان ومؤامرة الاغتيال ........ ١٠٧

**الكلمة الأخيرة** ........ ١١١

أ) من الولادة إلى الجامعة ........ ١١٢

ب) تغيير المذهب أو العقيدة ........................................................ ١١٣

ج) نهاية المطاف ........................................................ ١١٣

**في ذكرى رجل من الخالدين: الشهيد مرتضى رادمهر.... ......................... ١١٨**

**التذييل... ........................................................ ١٢٧**

# هذا الكتاب...

حكاية رحلة من الظلمات إلى النور...

حكاية مأساة يعيشها الإنسان الحر...

... الأبي...

... المؤمن...

... الصادق...

في بلاد ومجتمعات تعيش في الظلام...

حكاية سلمان الفارسي وقد بعث في هذا العصر من جديد...

حكاية تكشف عن مئات بل آلاف الحكايات مثلها...

حكاية تصور قوة العقيدة وصلابتها...

حكاية تحكي عن سعادة قلوب تفجرت إيمانا وتوحيدا...

قلوب أصبحت كقلب أبي ذر لا يصبر على الكتمان، فيرفع دويه بالإيمان...

وكقلب بلال يتلذذ بالسياط الظالمة وهو يقول: أحد، أحد، الله الصمد...

وكقلب ياسر أو سمية يتجرع كأس الشهادة معتزا على الأرض، لتضرب الملائكة طبول السعادة له في السماء...

حكاية رجل باع نفسه لله بجنة عرضها السماوات والأرض...

حكاية رجل جاء من أقصى المدينة يسعى ويهتف: ربي الله، لا أعبد إلا إياه مخلصا له ديني...

حكاية رجل... في زمن قحط الرجال...

حكاية رجل... والرجال قليل...

حكاية رجل... والرجال قليل...

سيد حسين حسيني

# الإهداء

- إلى والدي الكريمين الغاليين..
- إلى ابني العزيز "نويد" الذي تفتحت عيناه دون أن ترى له أبا..
- إلى جميع زملائي وأصدقائي ممن أحبوني أو كرهوني..
- إلى جميع الشباب الذين يبحثون عن الحقيقة..
- إلى الذين أرهقم الشرك والبدعة والخرافات..
- إلى الذين ولدوا أحراراً، ويعيشون أحراراً، ويحبون أن يموتوا أحراراً..
- إلى الذين نهلت من منهلهم العذب، الإخلاص والاستقامة والثبات في الدين..
- إليك يا "شيخي" يا من حملتني أكف دعواته الضارعة بين يدي مولاه..
- إلى المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك..

مرتضى رادمهر..

# الباحث عن الحقيقة

منذ أن خلق الله الأرض ووكل أمر خلافته فيها للإنسان، كان الإنسان وكان الصراع بين الحق والباطل، وكان النور وكانت الظلمة، وكان الحق وكان الباطل...

ومع الأزمان أصبح الباطل تحت قيادة سيده إبليس رمز الشر يتخذ أشكالا وألوانا...

وقد وصل إلى درجة السخافة يوم أن تنازلت البشرية عن موقع السعادة والقيادة، وصار يركع للجمادات والنجوم والشمس والقمر...

فخرج إمام التوحيد وصاحب معول الحق سيدنا إبراهيم عليه السلام يضع للدعاة منهجاً دعوياً سليماً في خطابه البسيط للعقول الساذجة، ويردد مقولاتهم الباطلة ـ على علم منه ببطلانها على سبيل الاتعاظ فقط ـ: هذا ربي.. هذا أكبر.. ثم لما عجزت الآلهة المخلوقة، بدأ يخاطب عقولهم وقلوبهم: لا أحب الآفلين.. وتدرج بهم في الدعوة إلى أن هتف عالياً بقوله: لا إله إلا الله، ولا معبود سواه.. الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وقال معتزا: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

وهكذا أصبح إبراهيم إماماً للموحدين وأبا لباحثي الحقيقة على مدار التاريخ...

ودارت الأزمان، وبقي أصحاب العقول والقلوب الصافية يضعون أقدامهم على خطى إبراهيم عليه السلام...

فكان منهم ذلك الغلام الذي تحدثت عنه سورة البروج، الذي جلس إلى الراهب يسمعه، ثم آمن به وصار يدعو إلى الله على بصيرة، ولما وجد أن شجرة التوحيد ستثمر إذا سقاها بدمه، قام بعملية استشهادية كانت نتيجتها أن آمن الناس ودمر كبرياء الضلال وذابت فرعنة الكفر(١)...

---

(١) راجع سورة البروج وتفاصيل قصة الغلام في كتب التفسير والحديث.

وكان منهم سلمان الفارسي ذلك الإنسان الذي سماه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلقمان هذه الأمة، وعدّه المصطفى ﷺ من أهل بيته (سلمان منَّا أهل البيت)[١]، وهو وحده يكفي دليلا على صدق رسالة المصطفى ﷺ، فهو معجزة من معجزات هذا الدين لمن عرفه وقرأ سيرته...

ذلك الشاب الذي هرب من تحت قناديل بيت النار في بلاد الفارس يبحث عن الحقيقة، وتنقَّل بين شتى بقاع الأرض إلى أن ساقه صدقه في البحث إلى مدينة الرسول ﷺ، وإلى الإيمان وإلى اعتناق الحقيقة..

فقد كان سلمان رضي الله عنه من بلاد فارس، تلك البلاد التي مازال أهلها يفتخرون بما روي فيهم (لو كان هذا الدين في الثريّا لناله رجال من هؤلاء)[٢]...

وحُقَّ لهم أن يفتخروا.. وحق لهم أن يعتزوا..

فيا أهل فارس... ويا أولاد سلمان... ويا أحفاد أئمة الإسلام...

حُق لكم أن تعتزوا بآبائكم وتفتخروا بأمجادكم، فأنتم من رفع الله شأنكم بهذا الدين، واستعمل منكم رجالا يذودون عن الدين ويحفظون هيبته ويدعون إليه...

وظل التاريخ يسطر أمجادا للمسلمين في هذه الديار... علما وثقافة وأدبا، تفسيرا وتنويرا، مؤلفات لا تحصى ومجلدات لا تعد..

وظل الأعداء يحترقون في غيظهم على هذه البلاد وأهلها، فكادوا لهم الدسائس يوم أن خمد المسلمون وركنوا إلى السكون، فكان نجاحهم في حين غفلة المسلمين، وأصبحت سيوف البدعة تحكم على رقاب الناس... وجاءت أدوار الحاقدين ممن ارتوى من لبن النعرات القومية ينادي: يا لثارات المدائن.. ويا لثارات كسرى وأنو شيروان!!

وبدأ الطعن في الإسلام واشتد، إلى درجة أن كاد الصفويون يقضون على ما بقي من بصيص نور في هذه البلاد... ولكن الله سلّم..

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ١/ ٧٠.

(٢) بحار الأنوار ١٦/ ٣١٠.

فأنَّى لهم أن يخمدوا مشاعل الهداية، وأنَّى لهم أن يدفعوا نور الله بأفواههم، فالله متم نوره لا محالة ولو كره المجرمون... ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ۝٩﴾ [الصف: ٨-٩] فرحلات الهداية المتوالية في هذه البلاد تصوير صادق عن قول المصطفى ﷺ: (لو كان هذا الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء)..

أجل فقد أصبح الدين في الثريّا وأصبح المؤمن كقابض الجمر في يده..

وفي هذه الظروف القاسية التي يعيشها المسلمون، نسمع يومياً عن عشرات الأسماء ممن خلعوا لباس الضلالة، وتقمصوا لباس الحق والتوحيد، على سنة أبيهم سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

وقصة هذا الكتاب ليس إلا سيرة رجل من آلاف الرجال الأبطال وهو حجة الإسلام مرتضى رادمهر..

وأنت تقرأ هذا الكتاب تعود إلى خاطرك حلقات رحلة سلمان الفارسي رضي الله عنه نحو الحقيقة، وكأن سلمان قد بعث إلى الحياة من جديد في شكل رجل آخر يسمى: مرتضى رادمهر..

ولو لا صدق الرجل وإخلاصه في إيمانه لم يكن لهذا الكتاب هذا الصيت وهذا الكم في النشر والتوزيع...

وكان ولابد أن ينقل إلى العربية وغيرها من اللغات، لتكون صورة صادقة عن آلاف النماذج المتماثلة، وعن مئات الصور المأساوية التي قَصَّر في حقها المسلمون...

نضع الترجمة العربية لهذا الكتاب أمامك أيها القارئ العزيز، لتبحث في ظلالها عن واجبك تجاه دينك وأمتك وتجاه إخوانك المهتدين..

هذا، ونسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجنبنا الزلل والمعاصي، ويستعملنا لخدمة دينه، ولا يسلط علينا ظالما أبدا ما أحيانا... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

**سيد حسين حسيني**

# من أجل عقيدته[1]

بعد كل هذه الآلام والمصاعب التي نلتها من أجل حبي له، كنت أعيش تائهاً مشرداً مظلوماً غريباً حيراناً لا أدري إلى أين المصير... فجأة جلب أنظاري شيء من بعيد، فتوجهت نحوه سريعاً، فإذا بي أسمع أصوات آلام وآهات قد هزت أركاني، وأرجفت فؤادي، فمدّ إليّ يديه، وكأنه يعرفني من أنا...

نظرت إلى عينيه المليئة بالمآسي والدموع، فأحسست شيئاً عجيباً يسري في قلبي، فقلت في نفسي: لعله مشرد مثلي.. وكنت أقرأ من الدموع المحلقة في عينيه قصص الظلم والتعذيب، كما كنت أتصفح أوراق ظلم الجبابرة وقسوتهم عليه، من نبرات صوته الحزين.

نعم، كان مثلي، عاشق يبحث عن محبوبه، مجاهد غيور، قد امتطى الصعاب والذلول، طائر حزين مكسور الجناحين... وبعد أن دققت النظر في عينيه الجميلتين، سألته عن اسمه وقصته، فأجابني: بأن اسمه مرتضى في الماضي، ومصعب في الحاضر، ومرشد الآخرين في المستقبل، فتقدمت إليه رويداً رويداً لأسمع قصته بآذان صاغية، وبعقل واع وضمير حي...

لقد وجدته عالماً ممتازاً، طبيباً حاذقاً، ومحباً للحقيقة بمعنى الكلمة...

كان يعيش في الرفاهية والسعة، لكنه أبى إلا أن يغادر ثراء أبيه الباذخ، ويرمي نفسه في أحضان الفاقة، بحثا عن خلاص عقله وروحه!!

أجل، في سبيل العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والخرافات، وفي سبيل العشق الصادق لدين الصادق الأمين عليه صلوات ربي وتسليمه، هاجر جميع مظاهر العيش الرغيد، وطار بعيداً عنها،

---

(١) هذه المقدمة قدم بها الكتاب عند نشره لأول مرة باللغة الفارسية، وكاتبها ممن رافق المؤلف في ديار الهجرة ـ باكستان ـ حينا من الزمن، فرأينا أن نثبتها كما هي في الترجمة العربية تقديرا لجهوده وجهاده.

ليعتنق الفقر والفاقة والتشرد معتزا، وكذا سياط العقاب والتعذيب في السجون، ونيران الظلم والطغيان من أيدي الحكام...

وبعد أن رأيت الصدق في قوله، وقرأت الحقيقة في نفسه، والإخلاص في نيته، تغلل حبه أعماق قلبي، فأحببته من كل نفسي.

نعم، من أجل عقيدته حالوا بينه وبين أهله وولده، وغصبوا منه ثروته وأمواله، وطردوه من الجامعة والحوزة، وأنزلوه من أعلى المراتب والمناصب ظنًّا منهم بذلك يقتلون الإيمان فيه... وأما هو، فقبل كل هذا بصدر رحب، ورحل بعيداً عنهم حفاظاً على عقيدته وهدفه، إيماناً منه بذلك، يعيش للأبد.. وقد عاش.. وسوف يعيش في سطور التاريخ وفي صدور الرجال وعلى شفاه الصالحين.. جعل الله له لسان صدق في الآخرين...

وبعد ما رأيت مرتضى، وسمعت منه ما حدث له من التعذيب والطرد والتشريد وغيرها، ثم ثباته واستقامته على عقيدته ودينه، تيقنت بأن الذي يخلص في عمله، ويدرك الحقيقة من قلبه وعقله، يسهل عليه أن يترك كل شيء فداء لها وحفاظاً عليها، ويقبل الصعاب والذلول بصدر رحب في سبيلها.

من أجل إخلاصه وصدقه، كان يجذب إلى نفسه كل من جالسه وخالطه، وإذا جلس مجلساً، كان الناس يقبلون عليه ويستمعون إلى دروسه ومحاضراته بآذان صاغية وقلوب متفتحة؛ لأن كلماته كانت كالنور الساطع الذي ينور قلوب السامعين له، ويبين لهم الطريق الهادي إلى الحق والحقيقة، وكنت أحد الذين استفادوا منه، وقد تعلمت منه دروسا في الإخلاص والإيثار، والاستقامة في الدين والعقيدة، والفداء لأجل الغاية السامية، التي هي أعز عَلَيَّ من الدنيا وما فيها.

ولكن! للأسف الشديد بعد أن اشتدت عليه المشاكل وأحاطته من كل صوب، وضاقت به السبل، هاجر بعيداً إلى الديار المجهولة، وتركني مغموماً حزيناً.

في اللحظات الأخيرة، وهو يودع ابني الصغير الذي تعلّق به تعلّق الفرخ بأمه، ويحتضنه ويقبله، شعرت بأنه قد تذكر ابنه الصغير "نويد" وقد تحلقت الدموع في عينيه، وانقطعت نبرات صوته،

ولكنه كان عزيزاً في نفسه، معتزا بإيمانه، فكان يتمالك نفسه ويتظاهر بالفرح والسرور، ويتصنع البسمة تلو الأخرى لئلا يعرف أحد بما يجري في خلجات صدره، وما يكنه فؤاده.

ولا أنسى أبداً تلك اللحظات الأخيرة التي قضيناها معاً، ولا ذلك البيت الذي كان يردده بصوته الحزين، يعبر فيه عن آلام الفراق، فكان يردد(١):

تفكيري الدائم بالنهار، وكلامي طوال الليل ..... لماذا أنا غافل عن أحوال قلبي

وكلما اشتكى من الآلام والمصائب ـ وقلما اشتكى مع كثرتها وشدتها ـ كنت أصبره وأقوي عزيمته بهذه الآية التي كانت إكسير آلامه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ثم ودعته وعلى شفتي قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولكن أين رحل؟ وفي أي الديار حل؟ وما صار مصيره؟

حقاً! لولا القلم، ولولا الكلمات الجميلة والتعبير الصادق الأمين، ولولا الكتابة، لما عرفنا عن سير الشخصيات العظمية وأحوالهم، كهذه الشخصية الفريدة التي نحن نتحدث عنها ونقرأ سيرتها.

فيا أيها القلم! دعني أقبل يديك الجميلتين، وأشكر المولى عزوجل الذي أوجدك وخلقك لمنفعة عباده، وأقسم بك تعظيماً وتشريفاً لمقامك: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴿١﴾﴾ [القلم: ١].

إن في القراءة والمطالعة والتفكر في حياة الشخصيات العظيمة من السابقين، دروس وعبر للاحقين، ونماذج وقدوة لهم ليقتدوا بها.

ولذلك طلب بعض الأحباب والأصدقاء من هذا الغريب الشريد الذي خرج مهاجراً إلى ربه، وكان يعيش بينهم، أن يسطر قصة حياته المليئة بالمآسي والأحزان، عسى أن تكون شمعة في طريق الذين يبحثون عن الحقيقة، وعسى أن تكون سبباً "لنويد" الصغير أن يتذكر أباه المشرد، وأن يتعرف عليه، وعسى أن تكون سبباً في أن يدرك والداه، فيحنوان على ابنهما ويعودان إليه ليظللاه في حضنهما المليء بالعطف والحنان من جديد، وتحت ظلال عقيدة جديدة.

---

(١) روزها فكر من اين است همه شب سخنم ..... كه چرا غافل از احوال دل خويشتنم

ولكن مع الأسف الشديد، فإن مشاكل السجن والتعذيب والحرمان والتشريد، أخرته عن تحقيق هذه الأمنية، والآن وقد قرر أن يكتب ذلك، أبت تلك الذكريات الأليمة، والآلام الجسيمة، وآثار القسوة والتعذيب، التي وقعت عليه في السجن إلا أن تحول بينه وبين التفكير والكتابة.

لكنه رغم كل هذه المشاكل والمصائب التي أصابته استطاع _بعون الله - عز وجل -_ أن يسطر هذا القدر القليل من قصته الطويلة الحزينة، لعله يشفي غليل القارئ والسامع.

وها نحن نقوم بنشرها، ليتعرف شبابنا اليوم على قصة صاحبنا المؤلمة، ليبتعدوا عن طرق الشك والخرافات، وليهتدوا إلى طريق الحق واليقين.

وما ذلك على الله بعزيز

٢٥ / ٥ / ١٣٨١ الهجري الشمسي الموافق لـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا للإسلام والإيمان والإحسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين إلى يوم الدين.

حمداً لك يا رب الكون، ويا خالق العقل والفكر والعلم والمعرفة والهداية والنور.

نحمدك يا خالق السماوات والأرض ومن فيهن، ويا مالك الكون ومن فيه، لا نعبد إلا إياك ولا نركع إلا بين يديك، ولا رب لنا ولا خالق لنا سواك... أنت الله الذي وهبت لنا عقولا نفهم بها، وقلوبا نعي بها، وصدورا ملأتها بمحبتك ورجاء رضائك.

إلهي!.. أحمدك كل الحمد وأشكرك كل الشكر، بأنك هديتني للإسلام وشرحت قلبي بنور الإيمان.

إلهي!.. لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، على أنك وهبت لي عقلا يفكر، وقلباً يعشق الحق ويبحث عنه..

إلهي!.. لك الحمد على عظيم منتك عليَّ، فقد وهبت لي شجاعة ترجو الشهادة، وجرأة للنطق بالحق، ولئلا أخاف فيك لومة لائم..

عزيزي القارئ..

ما أضعه بين يديك ليس إلا بكاء على أيام ضلالتي في متاهات الجهل والبدع... وتقريراً عن ظلم الطغاة وقتلة الحرية، وأعداء العقل والبشرية...

رسالة مؤلمة تكشف أيام الهداية والوصول إلى المعبود الحق الذي لا إله سواه، ولا معبود إلا إياه..

كلمات تتحدث عن ميلاد جديد، وحياة جديدة، في ظلال عقيدة صادقة.

ونبراس على الطريق الصحيح والصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا..

فإن كنت يا أخي القارئ، تجد اضطر اباً وركاكة في أسلوبي، وتفتقد أبياتاً شعرية تناسب المقام والمجال، فأعتذر منك إذ لست أديباً أريباً ولا شاعرا مفوها، وإنما هي خواطر وحديث عن أيام عشتها، وضعتها بين هذه السطور لتنتقل إلى صدرك وإلى كل الصدور...

كنت أشعر في قرارة نفسي بأنه يجب عليَّ أن أكتب شيئاً عن سيرتي الذاتية كمقدمة لتلك البحوث والدراسات في الجامعة و"الحوزة" التي أكلت من عمري سنين، ثم ساقتني إلى الحق المبين، وعلى تجاربي في السجن والتعذيب والهجرة، وقبل هذا وذاك على الأسباب التي جعلتني أرتقي من وحل البدع، لأقف على شموخ الحقيقة.

كتبتها لتكون تجربة واقعية بين يدي كل حر يريد أن يفكر حرا بعيدا عن قيود التعصب الأعمى والتقليد المميت، ولتكون تجربة حية بين يدي كل من يبحث عن الحقيقة ويتعطش لها، وكل من شمر عن أيادي الجد للبحث والتدقيق، والمدارسة والتحقيق في سبيل الوصول إلى طريق الهداية وسبيل الرشاد..

**عزيزي القارئ...**

كنت أتمنى أن تسمح لي صحتي، وتتركني أمراضي أن أضعك أمام صورة واضحة تفصيلية دقيقة على كل ما جرى لي، ولأكشف لك عن حقائق كثيرة أثرت فيَّ، وجعلتني أفكر وأعيد النظر فيما كنت فيه من العقائد والأفكار..

إلا أن الظروف المحيطة بي، ووضعي الصحي لم يسمحا لي بشيء من ذلك، لكن استجابة لطلب إخواني وأصحابي اضطر رت أن أضع هذه السطور المختصرة، أملا في أن أكتب شيئاً تفصيلياً أكثر من هذا إذا مد الله لي في الحياة، وعادت إليَّ الصحة والنشاط..

حاولت أن أقدم صورة مختصرة عمَّا حدث لي في هذا الكتيب، طعَّمتها بشيء من الشواهد والأدلة، بلغة سهلة ميسرة على سبيل الحكاية العادية، ولم أتبع أسلوب أهل الروايات والقصص الفنية..

ولا أجد لهذا الكتيب وصفاً إلا أن أقول بأنه صورة مختصرة، تقدم لك الأسباب التي كسّرت قيود الجهالة والتعصب والتقليد في نفسي، وأخرجتني من البدع والخرافات والأساطير إلى نور

الإيمان. وتضع بين يديك، كيف سقطت أسوار الجهالة من أمامي، وذاب التقليد الأعمى والتعصب المميت من أمام عيني.

وتصور لك كيف استطعت تحت رعاية ربانية أن أهرب من ظلمات الإفراط، وضلالة التفريط ومكر الشك والترديد، لأتسلق جبال العلم والمعرفة، ومن ثم أصل إلى أفق الحقيقة والهداية..

ولا أنسى أن أؤكد بأن الخروج من ظلمات الشك والتردد والتعصب الأعمى، والإفراط والتفريط وهيلمان المذهب الذي يسقى بألوان من الأمطار الدعائية والإعلامية، ويزين بشتى العبارات الجميلة والخطب الرنانة صباح مساء، في بلد كإيران ضرب من المستحيل، إلا إذا استعان المرء بالواحد الأحد الفرد الصمد، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض سبحانه وتعالى، وصدق معه الوعد..

أحمد الله -عز وجل-فاطر السماوات والأرض، حمد الشاكرين على توفيقه إياي، ألا أركع أمام الحياة المادية وزخارفها التي هيأها لي أبي، وألا أخضع للتعصب المذهبي والعقائد الخرافية التي ربتني عليها والدتي.. وعلى أنه وفقني إلى دراسة الحقيقة ورفع الشبهات وستائر الظلمة من أمامي، وأوقفني على أن أدركت بأن هناك عالماً إسلامياً أوسع مما نحن فيه من البدع والضلال.. ومن ثم قادني إلى الحقيقة التي أعتز بها، وستكون بإذن الله سببا لسعادتي في الدنيا والآخرة.

وها أنا أشعر بسعادة لا تضاهيها سعادة، إذ شرح الله صدري للإيمان، فارتديت ثوب عقيدة أهل السنة والجماعة، وعن علم ويقين وإيمان صادق نزعت ما كنت فيه من العقائد الشيعية، والحمد لله رب العالمين.

أخي المسلم، وأختي المسلمة:

ما ذكرته هنا يدور في فلك عالمين متضادين وعقيدتين متباينتين، وأفكار لا تجمعهما إلا الدعايات الجوفاء لا غير، مذهب أهل السنة والجماعة والعقيدة الشيعية.

وأقول وأصرح مرة بعد أخرى أنني لا أنتمي إلى أي حزب سياسي، ولا أدعو من خلال كتابي هذا لأي مذهب، أو رؤية سياسية، وإنما أردت من خلالها وجه الله سبحانه وتعالى.

وأرجو الله – عز وجل –أن يتقبلها مني، ويجعلها سبيل رشد وهداية لأهلي وأصدقائي وأمتي..

كما أسأل الله – عز وجل –أن يهب شبابنا عقولا يفكرون بها، وأن يوفقهم للتفكير الصادق والفهم الصحيح والانتخاب السليم، إنه ولي ذلك والقادر عليه..

مرتضى رادمهر

١/ ١/ ١٣٨١ش

الموافق ليوم الخميس ٦/ محرم الحرام/ ١٤٢٣هـ. ق. و١٩/ آذار/ ٢٠٠٢م

# النسب والأسرة

أنا المسمى مرتضى رادمهر ابن الدكتور فرزاد رادمهر، ولدت عام ١٣٥١ش (الموافق لـ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م) في إحدى الضواحي الراقية من مدينة طهران عاصمة إيران.

مما أذكره من شجرة نسب أسرتي، حسب ما رواه لي والدي ومما هو مشهور في العائلة، يرجع نسبنا إلى الأسرة المالكة من سلالة ملوك القاجار.

فقد كان جد والدي حفيداً لفخر الملوك وهو أخو الملك القاجاري ناصر الدين، ولم تزل عائلة والدي تعتز بتقاليدها الملوكي مما ورثتها من الأسرة المالكة القاجارية من السنن والعادات الأشرافية، وتحاول أن تنسجم مع كل ما هو غربي أو أوروبي.

أما والدتي الدكتورة السيدة عالية الحسيني، فيرجع نسبها إلى السادات الحسينيين، وهي تعتز كثيراً بتقاليدها المذهبية، وتلتزم بجميع العادات والرسوم الموروثة حرفياً، وإن كانت طبيبة مثقفة، وفي الظاهر متنورة تعيش عصرها!

تتباين وجهات نظر عائلة والدي، وعائلة والدتي تبايناً واضحاً، وتكاد لا تلتقي في شيء، فلكل عائلة اتجاهها الفكري الخاص، وشخصيتها الاجتماعية الخاصة بها.

أما ما جمع بين والديَّ تحت سقف واحد، فحكاية ترجع إلى أيام زمالتهما في كلية الطب، فقد كان والدي ووالدتي يدرسان في كلية واحدة وفي نفس المرحلة الدراسية من نفس التخصص، وكانا طالبين متفوقين نشيطين ذكيين مجتهدين، يحصلان دائماً على المرتبة الأولى في الدراسة.

هذا التفوق العلمي والزمالة الدراسية والاحتكاك الكثير في المجتمع الجامعي، أقام صلة احترام وود بينهما، واستمرت الحكاية إلى أن وقفت على قصة الزواج التي جمعت بينهما في عش الزوجية.

لا شك أن الحكاية لم تكن بهذه البساطة، فالتباين في الرؤية، والتفكير الساذج بين الطبقات المختلفة في المجتمع لابد أن يلعب دوره، فقد كانت عائلة الوالد تعتبر نفسها من الأسر الراقية،

والمثقفة ثقافة عالية ومن سادة المجتمع، ولهذا وقفت سداً منيعاً تعارض هذا الزواج، وقد اشتد الخلاف بين الأسرتين فكل منهما تعتز بثقافتها ونسيجها، ولا ترى الثاني يضاهيها أو يماثلها، مع كل هذا وذاك أصر الوالدان على موقفهما، وفي النهاية تم الزواج رغم جميع الموانع والمخالفات، لكن بقي ظلال هذا التباين الفكري والمنهجي بين العائلتين، مما خلق جواً فكرياً وروحياً متوتراً ظل يؤثر في كل مواقف الأسرة وبرامجها.

حصل هذا الزواج في ظل تلك الظروف التي أشرت إليها، وبدأت الأسرة الجديدة تخطو مسيرتها في الحياة بشكل طبيعي، لكن بقيت آثار حكاية أخرى تلاحق الأسرة طوال مسيرتها، لعلها جديرة بالذكر هنا.

في المرحلة الجامعية كان شخص آخر يسمى الدكتور منصور حكاكيان زميلا لوالدتي في الدراسة، وقد كان من الأقارب القريبين لوالدتي، ويبدو أنه كان يتمنى الزواج من والدتي، وقد سعى في ذلك.

فيوم تم زواج والدتي من والدي ذهبت أحلام الرجل أدراج الرياح، وحمل في نفسه بغضاً وحقداً شديداً على والدي، وكان يسعى دائماً ليعرقل الجو على والدي، وأن يتشاجر معه كلما وجد فرصة، لعله يستطيع أن ينتقم منهما أو يشفي غليل صدره.

كان يحاول تشويه صورة الوالد في كل المجالس والمجامع العلمية، ويثير الظنون والشكوك عليه في المجتمع الجامعي، ويحاول أن يفسد عليه الجو بأي طريق أمكنه..

كان وَقْع هذه المواقف الرخيصة على والدي كبيراً، حتى اضطر أن يتنازل عن كل النجاح الذي حققه إذا كان برفقة حكاكيان، فلقد كان عضواً في الهيئة العلمية في الجامعة، وكان أستاذاً في كلية الطب، وباحثاً في قسم المختبر والكشف العلمي، فترك هذا كله، بل ترك البلد وسافر إلى الخارج.

ومن الأشياء الطريفة التي حصلت في تلك الفترة، أن الوالد استطاع بعد دراسات وتحقيقات كثيرة أن يصل إلى علاج لسرطان الرئة، ولما سمع الدكتور "حكاكيان" بالموضوع حاول جاهدا أن يسرق تركيب صناعة الدواء من أبي ليسجله لنفسه، لكن كل مساعيه باءت بالفشل، فثار الحقد والكره الدفين في نفسه، من يوم أن خفقت آماله في الزواج من الوالدة، فبدأ يفتري على الوالد ويسعى لتخريب سمعته والتطاول على شخصيته، ولاسيما في المجامع العلمية والجامعية.

ضاقت الأرض على الوالد بما رحبت، إلى أن اضطر في عام ١٣٥٧ش (الموافق لـ ١٩٧٨م، و١٣٩٨هـ) للسفر إلى فرنسا لإكمال الدراسة في تخصص المخ والأعصاب.

قضى الوالد ثلاث سنوات في فرنسا، وكان قد تزوج هناك بفتاة نصرانية تسمى السيدة الدكتورة "ماريلا".

كانت زميلة له في الدراسة.

"ماريلا" كانت بنت الدكتور فريشتر(FRISHTER) أحد أساتذة الوالد.

سألت "ماريلا" والدي يوماً: من أين أنت؟ فأجابها الوالد بأنه من إيران.

ثم سألت ماريلا والدي، هل هو محمدي أو مسلم! وكان والدي يعرف أن ماريلا معجبة بمذهب المحمديين ـ أي السنة ـ فقال لها بأنه محمدي، فصدقت الوالد وتم الزواج؛ ولكن بعد فترة من الزمن أدركت ماريلا بأن الوالد ليس محمدياً بل شيعيا.

حاول الوالد أن يقنع زوجته بأنه محمدي، لكن كل محاولاته فشلت، وقالت له ماريلا بالحرف الواحد: إن المحمدية لا تعني أن المحمديين يعبدون محمداً، أو أنهم جعلوه رمزاً جامداً في حياتهم يزينون بيوتهم وحياتهم بصوره وتماثيله، وإنما المحمديون هم الذين جعلوا حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفقاً لما كان يقوم به نبيهم محمدﷺ، ويسمون بأهل السنة والجماعة.

وقالت لوالدي: أنتم أيها الإيرانييون تلعبون على كل الحبال، وتحرفون الكلم عن مواضعه! ولكم ألف وجه ووجه في الحياة..

وهكذا فسخ هذا الزواج بعد فترة وجيزة.

بعد هذا ترك الوالد فرنسا وسافر إلى كندا.

وظل يعيش في الخارج مدة اثني عشر عاماً.

طوال هذه الفترة الطويلة التي قضاها الوالد في الخارج، بقي على صلة دائمة بالأسرة عن طريق الاتصالات الهاتفية، وكذلك سافرت أمي مرتين لزيارة الوالد هناك.

وفي فترة غياب الوالد كان والده ـ جدي ـ يرعى شؤون البيت ويهتم بنا.

كان الدكتور حكاكيان يزداد خبثاً على خبث، ووصل به الأمر إلى درجة أنه أكثر من مرة وبطرق مختلفة طلب من والدتي أن تطلب من الوالد الطلاق ليتزوجها هو! لكن والدتي كانت آية في الحياء والوفاء مما جعلت الدكتور حكاكيان يكاد يموت غيظا، وتفشل خططه كلها.

في عام ١٣٧٠ش(الموافق لـ ١٩٩١م، ١٤١١هـ)، رجع الوالد إلى طهران مرة أخرى، ودخل بقوة أكثر في المجتمع الجامعي والعلمي وبدأ يدرس في الجامعة.

وصلت الدكتورة "ماريلا" ـ مطلقة والدي ـ بعدما تزوجت من رجل آخر إلى طهران لزيارة والدي، كانت على صلة جيدة ـ في دائرة الشؤون الأخلاقية ـ مع والدي، كل يحترم الآخر.

كان من وفائها للوالد أنها أخذت تركيب دواء سرطان الرئة الذي كاد يضيع بين أوراق الوالد القديمة إلى أمريكا، وبعد دراسات مختبرية عديدة أخرجت النتائج ضمن عدة بحوث ونشر في كتاب هناك، وأرسلت الدكتورة "ماريلا" نسخة من الكتاب المزبور إلى الوالد، وكان والدي دوماً يرجع الفضل في هذا النجاح إلى مطلقته الوفية المحترمة الدكتورة "ماريلا" النصرانية.

لم يسجل دواء سرطان الرئة باسم الوالد، لكنه كان يعتز دوما أنه شارك في هذا العمل الإنساني العظيم.

غياب الوالد عن الأسرة والبلد طوال هذه الفترة الطويلة لم يكن أمراً هيناً بالنسبة لنا، وقد ذاقت الأسرة الأمرين.

في غيابه ظل الناس الذين كانوا يعارضون هذا الزواج، ويحفرون لنا الحفر ولا يكادون يسكتون عنَّا، مما جعل جو البيت جوا متوترا دائما، وجعلنا نعيش في اضطر اب وحيرة.

كانت ثمرة هذا الزواج ثلاثة أولاد، ابنين وبنتا.

ما أريد أن أقوله هنا هو أن أسرتنا كانت مزيجا من ثقافتين مختلفتين، بل متناقضتين تماما، أو بعبارة أخرى حضارتين متعارضتين، وأفكار تناقض بعضها بعضا، وعادات وتقاليد لا تستطيع أن تهضم بعضها بعضا، تجمعت تحت سقف واحد، فعائلة الأب كانت رمزا للرؤية الغربية والانحلالية للحياة، وعائلة الأم على رأس الهرم في الالتزام بالتقاليد والعادات المذهبية الجوفاء.. وكانت تحاول جاهدة أن تتفاهم رغم كل هذه التناقضات!

لم نكن نعاني من أي ضيق اقتصادي، بل كنّا نعيش في مرح وحب، ولا ينقصنا شيء من متع الحياة ولا من الحب والحنان.

مما لاشك فيه أن من أماني كل أب وكل أم أن يعيش أولادهم في سعادة وصحة، وأن يوفقوا في الحياة، وكانت هذه أمنية والديَّ كذلك، كان والدي وأسرته الكبيرة يتمنون أن أصبح طبيباً متخصصاً مشهوراً لكن أسرة والدتي كانت تحرص وتصر على أن أصبح عالم دين.

وإن كنت اليوم مطرودا من والديَّ وأسرتي وقد نبذوني بعيدا عنهم، لكنني لا أستطيع أن أنسى تلك القبلات الحارة التي كانت تترجم حنان والدتي العزيزة على خدي، ولا تلك النظرات التي كانت تمتلئ حبا وحنانا من عيون والدي العزيز، ويعلم الله – عز وجل –أن لهما مكانا في صدري وأن قلبي يعتز بحبهما بعد حب الله – عز وجل –والعشق لعقيدتي وإيماني، وأنني أحبهما حب الولد البار لوالديه، حب ابن يحترق حزنا وألما وهو يرى والديه ينكران ويجحدان الحق الذي معه.

وإنني آسف جدا إذ أصبحت سببا في أن يترك والدي بلدهما للأبد واعتذر منهما أشد الاعتذار.

## من الصبا إلى البلوغ

لم أزل أذكر يوم أن غادر والدي البلد ـ في الظاهر ـ لإكمال دراسته وللحصول على شهادة التخصص في الطب، وفي الواقع هروباً من الجو الذي اختلقه له زميله وصديقه السابق الدكتور حكاكيان من تشويه لسمعته وبث الإشاعات والافتراءات عليه.

أذكر أن إدارة الأسرة من بعد الوالد وكلت إلى جدي، ولا أذكر من تلك الأيام شيء آخر ذي بال، إلا أنني أشعر بأن الجو في الأسرة كان جوا مضطربا عكرا، يغشاه التضاد بين أفكار وتقاليد عائلتي والدي ووالدتي، وأن غياب ظل الوالد كان في واقع الأمر صدى لتلك الإختلافات في الأفكار والأذواق، وكل هذه كانت جديرة بأن تؤثر في تربية الأولاد وأخلاق الأسرة.

ومما أذكره من تلك الأيام يوم أن أخذت والدتي بيدي عام ١٣٥٩ش(الموافق لـ ١٩٧٨م/ ١٤٠٠هـ)، وسجلت اسمي في مدرسة منطقة "نياوران" ـ وكانت تسمى في تلك الأيام مدرسة ياسمن ـ.

كنت في تلك الأيام صغيراً لا أشعر كثيراً بما يدور حولي، لكنني أذكر جيدا أنني سعدت كثيرا بتسجيلي في تلك المدرسة، وكدت أطير فرحا.. أيا كانت الظروف أكملت المرحلة الابتدائية في تلك المدرسة ولم يكن يتجاوز عمري اثنى عشر عاماً بعد، وأذكر جيداً بأني في ذلك العمر كنت أجد نفسي أميل إلي الالتزام بالتقاليد الدينية والمذهبية.

لا أدري ماذا وكيف حدث؟ لكنني أذكر بأنه طرحت في الأسرة قضية إكمال دراستي في الحوزة العلمية التي تسمى "ولي عصر".

ولأنني كنت أميل إلى الجو المذهبي والالتزام الحاكم على الأسرة، كنت أشعر بمدى اهتمام والدتي بهذا الجانب، وكنت أشتاق إلى الجمع بين دروس المدرسة الإعدادية ودروس المدرسة الدينية.

في عام ١٣٦٣ش(الموافق لـ ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ) بدأت في الجمع بين دروس المدرسة الإعدادية العصرية وبين دروس المدرسة الدينية..

## البدء في الدروس الدينية

بعد شبه توافق نسبي بين عائلة والدي وعائلة والدتي، وبناء على نصائح والدتي ورغبتها وشوقي الخاص للدروس الدينية، تم تسجيلي في الحوزة العلمية (ولي عصر) في طهران عام ١٣٦٣ش (الموافق لـ ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ).

وصل حكاية تسجيلي في المدرسة الدينية والاختلافات والكلام الذي دار في الأسرة إلى والدي في كندا.

وبما أنه كان يتمنى أن أكمل مسيرته العلمية، وأن أصبح طبيباً متخصصاً، حزن على موقفنا هذا وأصر على تركي للمدرسة الدينية والتحاقي بالمدرسة الإعدادية العصرية، وإكمال الفصول المدرسية هناك.

أصبحنا في ورطة شديدة فقد كنت أميل إلى الدراسات الشرعية، ويحرضني على ذلك جو أسرة والدتي واهتماماتها، لكن على عكس من هذا الموقف كان موقف أسرة والدي المتنورة نحو الدراسات العصرية.

كان والدي موقفه شديد من توجهي للدراسة الشرعية.

جاء الفرج على لسان والدتي عندما قررت أن أكمل دراستي في المدرسة الدينية وبجوارها أكمل دراستي في المدارس العصرية.

واتفقنا مع بعض المعلمين على محاضرات خاصة إضافية في البيت، وبذلك استطعنا أن نرضي الوالد دون أن نعرقل مسيرتي التعليمية في المدرسة الدينية.

وبما أنني كنت ـ بحمد الله ـ أتمتع بذكاء خارق وحفظ وحركة ونشاط وعشق للدراسة أكملت السنة الأولى من الإعدادية والسنة الأولى من المدرسة الدينية بالتفوق في المدرستين.

وإن كانت الدروس الخاصة مكلفة إلا أن وضع الأسرة الاقتصادية لم يكن يضايقني من هذا الجانب.

وهكذا انتهت السنة الأولى من المدرسة الإعدادية والمدرسة الدينية بشكل مُرض جدا.

قررت الوالدة أن أكمل الفصل الثاني من الإعدادية والدينية في إحدى المدارس الدينية في مدينة قم، فقد كانت تظن بأن مستوى الدراسة فيها عال.

وهكذا التحقت بمدرسة "كرماني ها" للعلوم الدينية بمدينة "قم المقدسة".

بعد فترة وجيزة حضرت والدتي إلى "قم" لتطمئن على دراستي، ولما زارت المدرسة ورأت بأم أعينها السكن الطلابي ونوعية الطعام الذي يقدم للطلاب والجو العام فيها، لم يعجبها فذهبت مباشرة إلى حي " زنبيل آباد" واستأجرت بيتاً مناسباً وعينَّت أستاذاً خاصاً ليدرسني دروس الإعدادية بجوار ما أدرسه في المدرسة الدينية.

أكملت فصل "المرحلة الأولى" في مدرسة "قديرية" الدينية، قرب مسجد "شاه إبراهيم سابق".

توفيق الله ثم ذكائي ورغبتي للدراسة والعلم، وإخلاصي في العمل ساعدني على إكمال مراحل "فصل المقدمات" و "فصل المرحلة الأولى" مع الفصول الثلاثة من الدراسة الإعدادية في وقت واحد وكنت في كل المراحل الدراسية من المتفوقين في المدرسة، ما جعلني موضع اهتمام خاص من كبار الأساتذة أمثال آية الله موسوي، وآية الله أستادي، وآية الله وحيد خراساني، وآية الله حسيني.

ولا أنسى أن أعترف ـ معتزاً ـ بأن الفضل في كل هذا التفوق الدراسي وهذا النجاح التعليمي يرجع إلى اهتمام خاص ورعاية عالية، كانت تبذلها بكل سخاء وإخلاص أمي العزيزة، فلها مني جزيل الشكر والاحترام أبدا ما أحياني الله – عز وجل –.

وهكذا على نفس النمط أكملت المرحلة الثانوية من الدراسات العصرية بجانب دراستي في المدرسة الدينية ـ الحوزة العلمية ـ.

درست مرحلة "السطح" و"الخارج" من دروس المدرسة الدينية في "الحوزة العلمية الرضوية".

حدثت لي حادثة لطيفة، يوم أن كنت أقضي إجازة الصيف في رفقة الوالد، الذي عاد إلى البلد بعد اثني عشر عاماً وهي:

كلَّف حجة الإسلام السيد غلام حسين حسيني أحد علماء حوزة "فيضية" العلمية لرحلة دعوية، وللبحث عن الوضع العقدي لمنطقة من مناطق البلوش، منطقة "رمشك" من توابع محافظة "كرمان".

وكنت شعلة من النشاط أرغب في البحث عن كل شيء، والكشف عن كل مجهول، فرافقت حجة الإسلام الحسيني إلى هناك.

منطقة "رمشك" يقطنها السنة، وليس فيها أحد من الشيعة، في هذا السفر التقينا بشباب من هذه المنطقة بينهم عدد من طلاب العلوم الدينية من شباب السنة.

طرحنا بعض المسائل العقدية أمامهم وأطلنا الكلام فيها، وتشجع شباب السنة فطرحوا العديد من الأسئلة فحميت الجلسة، واشتد النقاش بيننا، وأصبح اللقاء أشبه بجلسة جدال ومناقشة، وأحسست يومذاك أن نبالنا انتهت وبقينا لا نملك جوابا لتلك الأسئلة الحائرة.

لَّما عدنا من هذا السفر كنت أشعر في قرارة نفسي بخجل شديد، وشعور عميق بالهزيمة النفسية. فقد أثرت هذه الهزيمة أمام شبان –لم يبلغوا الحلم بعد– في نفسي تأثيراً عميقاً لا أستطيع أن أنساه أبدا.

في عام ١٣٦٨ش (الموافق لـ ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ) التحقت بحوزة "فيضية" العلمية بقم لإكمال السنة السادسة ـ أول الخارج ـ.

في هذه المرحلة من الدراسة كنت منكباً على دروس الحوزة والمطالعة والتحقيق، وقد حدث لي أمور أخرى جديرة بالذكر:

أ) في إحدى المناسبات الخاصة، قدم طلاب الحوزة "حوزة فيضية العلمية" مقالاتهم في وصف المرحوم مصطفى خميني - ابن الإمام الخميني مرشد الثورة الإيرانية -، وأنا كذلك قدمت مقالة لعلها حظيت باهتمام أكثر من مسؤولي البرنامج، فعدت مقالة نموذجية، فقدَّم لي رئيس محافظة قم، ميدالية ذهبية.

ب) وفي حفل أقيم في مسجد "جمكران" بقم، بمناسبة منتصف شهر شعبان قدمت مقالة عنوانها "الإمام المهدي القائم" وكنت قد أوردت في نهايتها هذا الحديث (وأفضل الأعمال انتظار الفرج)[1] وقد حظيت باهتمام الحضور وإدارة الحفل، ففي نهاية الحفل قدم لي حجة الإسلام "توحيدي نيا" خاتماً وزجاجةً عطر كتذكار لتلك المناسبة.

كنت في تلك الفترة مهتماً جداً بالدراسة والتحقيق والقراءة وكتابة المقالات، مما جعلني موضع رعاية خاصة واهتمام من الأساتذة والإدارة، ولاسيما أنني استطعت خلال خمس سنوات في الحوزة العلمية بقم أن أصل إلى مرحلة "الخارج" هذه كلها ساعدتني لأكون وجهاً متميزاً بين الطلاب وفي ساحة المدرسة، وهذا كله حرضني للمزيد من الدراسة والتحقيق والكتابة، فكنت لا أشبع من قراءة الكتب والمقالات والبحث عن المصادر.

إلى أن حدثت لي حادثة مهمة أخرى وهي:

قدَّم لي "السيد حسين عباسي" مجموعة من المقالات أعدها علماء السنة في مدينة "جابهار" من مدن محافظة بلوشستان الإيرانية بعنوان "راز دلبران " سر العشاق رسالة من جابهار إلى قم، كانت هذه المقالات تتحدث عن الأصول العقائدية لأهل السنة والجماعة وعما يعتقدونه في أهل بيت الرسولﷺ، وما يؤمنون به تجاه صحابة الرسولﷺ.

بعد قراءة هذه المجموعة من المقالات عادت إلى ذاكرتي ما دار في سفري إلى منطقة "رمشك"، وبما أنني لم أكن أغمض عيوني عما يطرأ لي وعما أقرؤه، أثارت تلك الرسالة عدة أسئلة في نفسي،

(١) الأمالي للطوسي ص ٤٣٦.

فشعرت أنني بحاجة ماسة للرجوع إلى منبع علمي غني يستطيع أن يشبع نهمي ويجيب على أسئلتي الحائرة.

قمت بترتيب الأسئلة وفهرستها، وذهبت إلى إدارة حوزة "فيضية العلمية" وطرحت الأسئلة أمام سادة المراجع.

فلم يجب السادة المراجع على أسئلتي، ونصحوني بأن أراجع فيها مكتب السيد آية الله أميني، نائب إمام الجمعة في قم، وكان من العلماء المشهورين في الفلسفة والمنطق، وكان أستاذا مشهورا. وبإشارة ومساعدة من حجة الإسلام "توحيدي نيا" راجعت مكتب السيد آية الله أميني، وطلبت لقاء السيد، لكن مسؤولي مكتب السيد اعتذروا عن إمكانية اللقاء بسعادته، وذلك لكثرة مشاغله الفكرية والعلمية و... ولكنني لم أيأس واستطعت أخيراً وبعد ثلاثة أسابيع من متابعة المكتب والإصرار عليهم أن ألتقي بسعادته، قدمت له فهرس الأسئلة.

بعد ما أخذ ينظر في الأسئلة بدأت معالم وجهه تتغير شيئاً فشيئاً إلى أن ثار غضبه وبدأ يرتجف من شدة الغضب، ويرمي بالشتائم والكلمات القبيحة المستنكرة على كاتب هذه المقالات، وكل من ساهم في نشر هذه المجموعة وطباعتها.

بقيت حائراً مستغرباً أمام ما أراه، فما كنت أتصور أن عالماً كبيراً بمكانة حضرته، وقد ملأ الدنيا صيتاً وشهرة في الفلسفة والمنطق، أن يثور مثل هذه الثورة الهائجة، وأن يتفوه بمثل تلك العبارات القبيحة والشتائم الغليظة السوقية!

صرخ آية الله أميني في وجهي وقال لي: اذهب واقرأ كتبي ومؤلفاتي، وإذا لم تقتنع فتعال إلى مسجد الأعظم لأجيب على استفساراتك ـ يقع مسجد الأعظم في إحدى ميادين حرم السيدة المعصومة ـ.

اغتنمت فرصة أخرى وذهبت برفقة حجة الإسلام توحيدي نيا إلى مسجد الأعظم، وكان يعقد آية الله أميني حلقة درسه هناك.

أذن سعادته لي أن أطرح أسئلتي، فطرحت الأسئلة مرة أخرى، فثار السيد آية الله هذه المرة ثورة أشد من سابقتها، وغضب غضباً شديداً في جمع من طلابه، و لم يجب على الأسئلة وإنما بدأ بالهجوم

الشرس على مؤلفي هذه المجموعة، وأشبعهم شتما وافتراء، وقال فيهم كل قبيح كان يمكن أن يخرج من فم إنسان سوقي لا من فم عالم دين.

لم أستطع أن أتمالك نفسي أمام هذا الموقف الشنيع والمهين، فغضبت غضباً شديداً وصرخت في وجه السيد آية الله أميني، وقلت: أستاذ! أحبذ ألا أحضر مجالس الجهَّال بعد اليوم!!..

غضب سماحته من هذا الموقف أشد الغضب، وأمر أن يقطعوا منحتي الدراسية.. كانت الحوزة العلمية في قم تقدم كفالات دراسية بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف تومان شهريا للطلاب، وكانت هذه الكفالات تحت إدارة وإشراف من ثلاث شخصيات من المراجع، وكانت كفالتي تحت إدارة آية الله أميني، وآية الله مشكيني، وآية الله وحيد الخراساني.

لعله يجدر الإشارة إلى أن هذه المجموعة من المقالات وما حدثت لي في الفصل السادس من الدراسات الدينية في حوزة "فيضية العلمية" بقم، الذي كان مصادفا لإنهاء مرحلة الثانوية من الدراسات العصرية، وقراءاتي المتنوعة في الكتب والمصادر، كلها تعاونت في بث ثورة فكرية واعتقاديه في ضميري، وهذه الأمور كلها جعلتني أرى بأن هناك عالما آخر غير ما نحن فيه، وأن دائرة العالم الإسلامي أوسع من دائرة "التشيع" الضيقة.

ولعل هذه كانت أولى الشرارات الفكرية التي جعلتني أعيد النظر في أصول ما اعتقده من مذهب التشيع.

## بداية المرحلة الجامعية عام ١٣٦٩ش (الموافق لـ ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ)

دخلت عام ١٣٦٩ش (الموافق لـ ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ) الامتحان العام للالتحاق بالجامعة، واستطعت بعون الله الحصول على درجات جيدة كانت تؤهلني للالتحاق بستة عشر تخصص علمي منها: الطب والبيطرة والصيدلة و...

فرح والديَّ بهذا الإنجاز ولاسيما والدي، وقد رحب بهذا النجاح واعتبره محور انطلاق إلى أحلامه فيَّ، فأصَّر على التسجيل في تخصص الطب، وبناء على رغبته التحقت بكلية الطب من جامعة "شهيد بهشتي" بمدينة طهران في بداية شهر "مهر" عام ١٣٦٩ ش (الموافق لأيلول ١٩٨٨م/ صفر ١٤٠٩هـ).

انشغالي بأمور الجامعة والالتحاق بها وبدء الدراسة فيها جعلني اضطر إلى إيقاف دراسة العلوم الدينية ولو لفترة وجيزة.

كان جو الجامعة عالما آخر غير ما كنت اعتدته في "الحوزة" وتماشيا مع الجو الجديد والبيئة الجديدة خلعت الزيَّ الحوزوي وبدأت أرتدي لباس عامة الناس.

بعد فترة قصيرة اتصلت لجنة الدعوة الإسلامية في الجامعة بحوزة "فيضية العلمية" بقم، وبما أنني كنت من النشطين والمتفوقين في الحوزة، أُقْتُرِحَ عليَّ أن أنضم إلى اللجنة الدعوية وأصير عضوا فيها.

ما طرأت لي من الأفكار وما حدثت فيَّ من التحولات الفكرية والعقدية جعلتني لا أميل إلى الانضمام والمشاركة في تلك الأنشطة، فلم أبد رغبة في المشاركة في اللجنة الدعوية الجامعية واعتذرت عنهم، لكن إدارة اللجنة لم يعجبها موقفي هذا، وكانت حريصة على انضمامي إليها.

اتصلت على والدي وصورت له الأمور بطريقة جعلت والدي يرتاح لهم وبدأ يحرضني للانضمام إليهم، فاضطررت للانضمام إليهم مرغما.

أيا كانت الأمور انتهى الفصل الدراسي الأول في سكون ودون حدوث أية مشاكل.

بدأ الفصل الثاني من العام الدراسي الأول وكنت قد ألفت جو الجامعة، وتعرفت على مداخل الأمور ومخارجها وعلى الجو المحيط بي.

انضمامي إلى الاتحاد الطلابي ومن ثم الاحتكاك باللجنة الدعوية الجامعية، زادني رسوخاً في البيئة الجامعية والتعرف على الأفكار والنظريات والفلسفات الموجودة في المحيط التعليمي، وأحياناً كان يحدث نوع من الصراعات الفكرية والمناقشات بين أصحاب الرؤى المتباينة، ومن موقعي في الاتحاد الطلابي كنت مضطرا للخوض في تلك الميادين.

لا أنكر بأن كثيراً من مواقفي من خلال اللجنة الدعوية مع البيئة الطلابية، كانت صدى لسوء الفهم أو بعبارة أخرى لم تكن نتيجة التعقل والتفكير السليم، بل كانت مواقف تصنعها الثورات العاطفية والإحساسات الفردية، ولم تكن تتجاوز رؤيتها المطالب الآنية للطلاب فحسب.

هذه المواقف جعلتني موضع اهتمام الطلاب واحترامهم، كما جعلتني في موقف حرج مع إدارة الجامعة والمسؤولين عليها، لكنني كنت سعيداً بما أقوم به، إذ كان همي الوحيد الاهتمام بمشاكل الطلاب والسعي للحصول على ما يريدونه، دون مصالح الجامعة أو مشاكل الإدراة أو...

ولعل هذه المواقف الشديدة وهذا التعنت والإصرار على مطالب الطلاب جعلتني شخصية محبوبة في الوسط الطلابي.

كانت رؤيتي ـ ولعلها رؤية الآخرين كذلك ـ إلى الجامعة أنها مكان أعد للتربية العلمية والتربوية في نفس الوقت، ويجب عليها أن تهيئ الجو العام لبزوغ المواهب، وظهور الابتكارات الفردية والاختراعات، وبالتالي يتطور المجتمع.

لابد للإدارة أن تراعي الجوانب الفطرية لطلاب الجامعة، الذين يتمتعون بالقدرات الفطرية والغريزية الحادة في هذه الأعمار، وإن تجاهل هذا الجانب الفطري أو قلة الاهتمام به، قد يؤدي إلى مزالق خطيرة وإلى الفساد الاجتماعي والأخلاقي.

وقد كان ظلال هذا الاتجاه الفاسد مهيمنا على البيئة الطلابية بشكل واضح، وجعل من الجو الدراسي جواً مسموماً، صالحاً لظهور أية بوادر تؤدي إلى ألوان من الفساد الاجتماعي والأخلاقي.

ومن موقعي في الاتحاد الطلابي واتصالي المباشر باللجنة الدعوية الجامعية، وشعوري بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقي ناقشت مسؤول اللجنة الدعوية في الجامعة "سيد محمد رضا حسيني" فيما يحدث في المجتمع الطلابي، ولعل مواقفي لم تكن تعجب اللجنة، أو أنها كانت رؤى سطحية ضعيفة، مما جعلت اللجنة لا تعجب بمواقفي، وكان بيني وبين السيد حسيني هذا عدة مشاجرات ومواقف، منها:

أ) قبض الشرطة على طالبة من طالبات الجامعة، كانت لها صلات غرامية غير أخلاقية مع مجموعة من الشباب في خارج البيئة الجامعية، وفي التحقيق اعترفت الطالبة أنها تدرس في جامعتنا، فمن ثم كان ولابد أن تتدخل الجامعة في الأمر.

حولت المسألة إلى اللجنة الدعوية، التي حققت بدورها مع الطالبة، وفيما يبدو أن الطالبة استطاعت أن تبرر موقفها، وبالتالي حلت المشكلة وتم الإفراج عنها.

وقد شاع بين الطلاب بأنه كان لرئيس اللجنة الجامعية السيد الحسيني صلات غرامية، وصولات وجولات مع هذه الطالبة، مما جعل اللجنة تستر عليها، وتفرج عنها!

ب) وفي إحدى المرات تم القبض على طالب وطالبة بتهمة الفساد الأخلاقي، والصلات الغرامية في البيئة الجامعية.

حولت المسألة إلى اللجنة الدعوية التي حققت بدورها معهما، فنفى الطالب والطالبة أية صلات غير مشروعة فيما بينهما، وقالا: بأنهما يفكران في الزواج من بعضهما، ولم تتجاوز علاقتهما صلة الحب العذري البريء.

لكن اللجنة الدعوية لم تقتنع بكلامهما وأبت إلا وأن ترسل الطالبة إلى الجهة الطبية للتأكد! وخرج التقرير الطبي يصدق كلامهما!

ورأيت بأم عيني الطالبة وهي تصرخ باكية في وجه مسؤولي الجامعة واللجنة الدعوية وتقول: أخجلتمونا أمام الناس وأهنتمونا على الملأ، ألا تخافون الله! أليس لكم شيء من الحياء والغيرة!

وفي نهاية الأمر لم تؤثر كل هذه الأمور في قرار اللجنة، وتم فصل الطالبة والطالب من الجامعة.

أظهر طلاب الجامعة سخطهم واعتراضاتهم على هذا القرار الظالم، وأحدثوا بلبلة في الجو الجامعي، مما جعلت إدارة الجامعة تقيم جلسة توضيحية لتخفف عن مشاعر الطلاب، وقمت في هذه الجلسة ودافعت عن حقوق الطلاب بشكل قوي.

بعد هذا الموقف استدعيت إلى المخابرات وأجبرت على التوقيع على وثيقة الندامة، وعلى أنني لن أقوم بمثل هذه الحركات، وأن أعلن في الجلسة القادمة أمام الطلاب بأنني أخطأت وأن موقف الإدارة كان صحيحا.

ثم رتبت الجامعة جلسة أخرى، وقمت أمام الطلاب في حالة خجلة منكسرة، وما إن نطقت ببعض الجمل المكسورة، وإذا بطالب يقوم ثائراً هائجاً يصرخ في وجهي بكل غضب: السيد رادمهر! كم دفعوا لك؟ ماذا دهاك يا رجل؟ لم تمر بضعة أيام وقد تغيرت تماما؟

وكنت أرى الغضب والكره في عيون الطلاب، وتغيرت نظرتهم تجاهي تماماً.

فبعد أن كانوا يرون فيَّ مناضلا يدافع عن حقوقهم، إذا بهم ينظرون إليَّ شزرا ويرمونني بسخطهم وكرههم الصامت، وكأنني عدوهم الشرس!

انتهى العام الدراسي الأول وكانت تلك المواقف وما حدث فيها من القبض والسجن والتعذيب مقدمة للمشاكل والمصائب التي واجهتها فيما بعد وإلى يومي هذا...

أكملت الفصل الثاني من العام الدراسي الأول في كلية الطب على نفس النمط، عدة مشاجرات كلامية ومواقف مع اللجنة الدعوية ـ من موقف الشعور بالمسؤولية ـ ومواقف وصراعات كلامية مع السيد "كاشاني" وفشل إحدى الجلسات التوضيحية، وما حدثت بعد ذلك من غضب الوالد عليَّ، ورفع قضيتي إلى المخابرات والتوقيع على وثيقة الندامة، والرجوع إلى حوزة "فيضية العلمية" بقم، وما حدث في مدينة قم.. كل هذه المواقف جعلتني أشعر بالخجل والضياع وأن شخصيتي في الجامعة أصبحت شخصية غير مرغوب فيها.

لم أعد أطيق الجو الجامعي والاستمرار في الدراسة، ولهذا لم أسجل في الفصل الصيفي.

لم أكن أرغب كذلك في إكمال الدراسات الدينية في الحوزة، لكنني كنت أشعر أن الجو الحوزوي يتلائم مع حالتي النفسية أكثر من الجو الجامعي، وأن ذهابي إلى هناك قد يخفف من ضغوطي النفسية، ولهذا ذهبت إلى حوزة "فيضية العلمية" بقم، وبدأت أكمل دراستي التي توقفت في الفترة الماضية في فصل "الخارج".

كنت أشعر بأن بقائي في الحوزة أفضل لي من الرجوع إلى الجامعة، بعد فترة وجيزة من بقائي في الحوزة لبست العمامة، وقررت أن أكمل الدراسات الدينية إلى مراحلها الأخيرة، لكن والدي حَضَرَ إلى قم وأصَّر على رجوعي إلى طهران لإكمال الدراسة في كلية الطب.

لم أستطع المقاومة أمام والدي فاضطررت أن أبدأ الفصل الأول من السنة الثانية في شهر "مهر" ١٣٧٠ش (الموافق لأيلول ١٩٨٩م/ صفر ١٤١٠هـ). لكن هذه المرة لم أكن ذلك الطالب النشيط الطموح الذي كنت يوم أن قدمت إلى الجامعة لأول مرة، وإنما كنت أشعر بأني إنسان ضعيف حقير لا هدف له من الدراسة ولا يشعر بقيمة لحياته.

في الفصل الثاني كنت ألبس جلباب العلماء والعمامة ـ الزي الحوزوي ـ في الجامعة، وكنت أشعر بالوحدة في المجتمع الطلابي، وكأن الطلاب قد نبذوني بعيداً عنهم ولا يريدون الاحتكاك والتعامل معي.

كنت أقرأ الكره والغضب في عيون زملائي وأشعر بأن وجودي في جلساتهم ولقاءاتهم يضايقهم، لكن لم يكن أمامي إلا أن أتعايش مع الوضع الجديد وأتحمل كل ذلك.

في هذا الفصل الدراسي كنت أشارك في برامج الاتحاد الطلابي والنشاطات الدينية، وحتى في غياب إمام مسجد الجامعة كنت أؤم الناس، وكنت أشعر بكل ما يدور في عيون الطلاب وصدورهم من كرههم الشديد وغضبهم علي، وفي المقابل كنت أشعر بأنني على قدر ما سقطت في عيون الطلاب ارتفعت في عيون إدارة الجامعة واللجنة الدعوية.

وكان أبي كل ما يجد فرصة يسمعني بأنه فخور بي ويعتز بولد مثلي.

كنت أشعر تماماً بأن ما يقوله الوالد ليس إلا مجاملات يحاول بها رفع معنوياتي المنهارة وعلاج ما أعانيه من التدهورات الروحية ومن التناقضات الفكرية والعاطفية.

كنت مع كل ما أعانيه من التباين والتضاد أحاول ألا أبدي شيئا منها، وأظهر في المجتمع وكأن الأمور تجري على ما يرام.

أذكر جيداً يوم أن كنت أكلف من قبل الاتحاد الطلابي بالإشراف على السكنات الطلابية، ولاسيما مهجع الطالبات، وكنت أذهب إلى المهاجع الطلابية أرى الطالبات ينظرن إلي وكأنني رجل مخابرات أو من حزب الله، ومن أصحاب الثورة المنبوذين، أو من الأصوليين المتشددين، وأنهن كن يتضايقن بوجودي بينهن، وكنت أرى الغضب والكره يصرخ من نظراتهن...

كانت عجلة الزمان تدور بسرعة شديدة حينا وببطء قاتل أحياناً.

انتهى الفصل الدراسي الثاني، وكان يحمل في أحشائه وقائع كثيرة وخواطر مؤلمة وذكريات مريرة من أبرزها:

١) خرجت برفقة "علي رضا محمدي رحمه الله" -من زملائي في الحوزة في قم وطالب بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة طهران ـ وأبي طالب صالحي من زملاء صديقي محمدي في كلية

العلوم الاجتماعية، من "تجريش" إلى جنوب طهران ـ ساحة توبخانه ـ للتجول وقضاء بعض الوقت، في ساحة توبخانة، أردت أن أتصل إلى أسرتي فدخلنا مركزاً للهواتف.

بعد دخولنا مركز الاتصالات جلسنا في صالة الانتظار ننتظر دورنا للاتصال.

كان هناك رجل يلبس الزي البلوشي، وكان يرى على سماته أنه من علماء أهل السنة، وكان يجلس بجواره عدد من الشباب، ولعلهم كانوا ينتظرون دورهم للاتصال.

بعد فترة وجيزة رأيت أحد هؤلاء الشباب التفت إلى العالم البلوشي وسأله بشيء من التعنت: هل حضرتك سني أم شيعي؟

رد العالم السني: أعوذ بالله أن أكون شيعيا!

فقال الشاب مستغربا: ولم؟ وما عيب الشيعة؟

رد الرجل السني: بالله عليك، قل لي ما هي العيوب التي يمكن أن تكون في إنسان وليست هي في الشيعة؟

بدأ النقاش يشتد بين الفريقين، وأخذنا ننظر إليهم من بعيد.

قال الشاب للعالم السني: عيبكم أنتم "عمر" لا غير، عمر الذي أحل الحرام وحرم الحلال.

سأله العالم السني: قل بالله عليك، ما هو الحلال الذي حرمه عمر، وما هو الحرام الذي أحله عمر؟

رد الشاب: كانت المتعة حلالا فحرمها عمر [(١)].

(١) الحق أن عمر ليس هو الذي نهى عن المتعة بل الذي نهى عنها الرسول ﷺ فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (حرم رسول ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة) [الاستبصار للطوسي ٣/ ١٤٣، وسائل الشيعة للحر العاملي ٢١/ ١٢].

وكذلك الأئمة عليهم السلام نهوا عنها فعن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المتعة فقال: (لا تدنس نفسك بها) [مستدرك الوسائل ١٤/ ٤٥٥] وعن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في المتعة: (دعوها، أما يستحي أحدكم أن يرى في موضع العورة فيحمل ذلك على صالحي إخوانه وأصحابه) [الكافي ٥/ ٤٥٣، وسائل الشيعة ٢١/ ٢٢] وعن محمد بن شمعون قال: (كتب أبو الحسن إلى بعض مواليه لا تحلوا المتعة، إنما عليكم إقامة السنة فلا تشغلوا بها عن فرشكم وحرائركم فيكفرن ويتبرين ويدعين على الأمر

سأله العالم: أريد أن أسألك، هل في رأيك المتعة شيء جيد مبارك؟

قال الشاب: نعم، وألف نعم.

رد عليه الرجل السني: إذا كانت المتعة حلالا وأمراً مباركاً كما تفضلت، فها أنا أخوك المسلم، وأنا منذ زمن بعيد عن أهلي وأسرتي وأشعر بحاجة شديدة إلى المتعة، فهل تتكرم وتقدم مشكورا أختك إليّ، ولك في ذلك الأجر والمثوبة التي تتصورها!

ثار الشاب على هذا الجواب، وقام هو وأصحابه وبدؤوا يضربون العالم السني ورموه خارج صالة الانتظار.

خرجت أنا وصاحبيَّ من الصالة وأخذنا الشيخ السني بسيارتنا إلى مطعم خسام، ودعوناه لتناول شيء خفيف معنا.

وعلى مائدة الأكل بدأ أصحابي يناقشون الشيخ السني فيما حدث بكل احترام وأدب.

وصل بهم الكلام إلى مناقب الخلفاء وفضائلهم، وأن علياً هو أفضلهم على الإطلاق، فقال أصحابي: إن فضل علي عليه السلام على سائر الصحابة يرجع إلى أن علياً عليه السلام كان رجلا متعلماً ومثقفاً، وقد ألف كتاباً في حين أن سائر الخلفاء كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة.

فقال الشيخ السني: يا ناس، إننا نقول بأن علياً كان من كتَّاب الوحي، وإذا كنتم ترون هذا رأس مناقبه فلا تنسوا بأن معاوية كذلك كان من كتَّاب الوحي، وكان مثقفا جدا.

وأن أبا علي ـ أبو طالب ـ لم يكن يعرف القراءة والكتابة! وإنما أمر الرسول ﷺ علياً بأن يتعلم القراءة والكتابة.

وفي موضوع تأليف أمير المؤمنين علي عليه السلام للكتاب الذي أشارا إليه، قال الشيخ السني: هذا الكتاب ـ نهج البلاغة ـ الذي تنسبونه إلى سيدنا علي، ليس من مؤلفات سيدنا علي وإنما هذا الكتاب وضعه "الشيخ الرضي" اللعين، جمع فيه عدة آلاف من الأحاديث الكاذبة ونسبها إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

---

بذلك ويلعنونا) [الكافي ٥/ ٤٥٣]. وقد صرَّح آية الله هاشمي رفسنجاني لمجلة الشراع في عددها (٦٨٤) في الصفحة الرابعة أنه يوجد في إيران ربع مليون لقيط بسبب زواج المتعة!!

توقف بنا النقاش، ولم نكن على استعداد لمناقشته والجدال معه فتركناه ورجعنا إلى الجامعة.

لكن موقف الرجل مع هؤلاء الشباب ونقاشه البسيط معهم في قضية المتعة هزَّ ضميري، وجعلني أفكر وأعيد النظر في قضية المتعة.

٢) قدرا التقيت في الباص بالسيد غلام رضا كاردان، المشهور بحفظه للقرآن كله، في إحدى أسفاري من طهران إلى قم.

يعد السيد كاردان من أبرز الوجوه في وضع الخطط والبرامج لتقريب المذاهب الإسلامية، ومن أبرز المفكرين في برنامج الوحدة بين الشيعة والسنة.

وكانت تجلس قريباً إلى كرسي السيد كاردان امرأة زينت نفسها بمساحيق غليظة، وكانت تبدو جميلة.

خلال السفر شعرت بأن السيد كاردان بدأ يقترب من تلك المرأة، وفتح باب الكلام والصداقة معها، وإن كنت لا أسمع كلامهما، لكن عندما وصلنا إلى قم ونزلنا من الباص رأيت السيد كاردان وضع ورقة صغيرة في يد تلك المرأة.

بعد ثلاثة أيام زرت السيد كاردان في بيته لعمل كان لي معه ولاستعارة كتاب منه، فرأيت تلك المرأة بلباس البيت في بيت السيد كاردان، وكنت أعرف أن أسرة السيد كاردان ليست في البيت. تعجبت من هذا الموقف، ولم أكن أريد أن آخذ من وقت السيد أو أزعجه كثيرا، لكن لما رأيت هذا الموقف أخذني فضولي لمعرفة الحكاية.

شعر السيد كاردان بحرج شديد من وجودي، وكان يبدو مضطربا، وقال: بأنه كان مشغولا في كتابة موضوع ما، وانقطعت حبال أفكاره مع حضوري وأشعرني بأنه يريد أن أخرج بسرعة ليتفرغ لواجباته.

لكنني تمهلت وأشعرته بأنني مصّر على معرفة سبب وجود تلك المرأة في بيته، ويبدو أنه شعر بأنني أرغب في معرفة الحكاية، فقال: هذه المرأة أصبحت حلالا لي! فقد أخذتها بالمتعة.

وبدأ يشرح لي معنى المتعة وأراد أن يبرهن لي صحة عمله، وأنه أمر مشروع في الإسلام، لا غبار عليه، واستشهد لكلامه ببحث للمرحوم آية الله طالقاني، وآية الله هاشمي رفسنجاني، وأكد لي بأن

المتعة لا تعارض الشريعة فحسب، بل عمل مشروع يجلب المثوبة والأجر في الدار الآخرة، ونصحني ألا أحرم نفسي هذا الأجر العظيم إن كنت أشعر بالحاجة إليه.

ثم دخل في شرح فلسفة المتعة وتفسيرها، واعتبرها حلا لكثير من مشاكل المجتمع، وسبيل القضاء على الفساد الأخلاقي والهرج في المجتمعات الإسلامية.

بعد هذا التمنطق والتفلسف الذي أبداه لم أجد أمامي إلا أن أتركه وشأنه وأنصرف راشدا.

٣) أراد صاحبي علي رضا وسيد أبو طالب صالحي طلاب كلية العلوم الاجتماعية أن يسجلا تقريراً ميدانياً ـ كبحث منهجي علمي ـ عن بعض حالات المجتمع، وحصلا على إذن رسمي من جميع الجهات القانونية لعمل لقاءات مع الناس وتصويرهم.

وكانا قد قررا أن يذهبا إلى الحدائق العامة، وإلى الأحياء المشهورة بالفساد والتجاوزات الأخلاقية، أعجبني موضوع بحثهما واستأذنتهما في المرافقة.

ما أن استقر بنا الأمر في حديقة أكباتان (المشهور بحديقة الطالب)، وبدأنا نركز أجهزة التصوير على المناظر الجميلة، فإذا بأحد الرفقاء دعا إمرأة عجوزة كانت تمر من هناك، وقال لها: عفوا سيدتي، نريد أن نسجل تقريرا عن بعض قضايا المجتمع، فهل تسمحي لنا، نريد أن نتشرف بالسؤال عنك.

كانت المرأة مضطربة وحزينة، فثارت في وجوهنا وصرخت: تعالوا صوروا قلبي، حتى تعرفوا لماذا تنجر بنات الناس إلى الفساد، لمجرد لقمة أو لقمتين تشبع بها نفسها، أصبحت الفتاة تبيع نفسها وعرضها باسم المتعة لتملأ بطنها!

صورت تلك المرأة العجوزة بكل بساطتها وسلامة فطرتها المتعة، وما تنتجه من المشاكل، بصورة تجرح كل قلب ينبض صلاحا، وكل ضمير حي مازال فيه شيء من آثار الفطرة!

٤) في المرحلة الثانية سألنا إمرأة شابة عن معنى العشق؟ فقالت: العشق يعني الخبز، العشق يعني الماء، العشق يعني البحث عن حياة كريمة، العشق يعني ملء البطون الخاوية، ثم بدأت تبكي وتقول: وصل الأمر إلى فتياتنا أنهن يبعن أعراضهن باسم المتعة، للحصول على قطعة خبز يملأن بها بطونهن.

وبدأت تصف المتعة وصفاً تقشعر منه الجلود وتنخلع منه القلوب التي في الصدور، ثم قالت: والسادة الذين يقضون حوائجهم ويشبعون شهواتهم بالمتعة، يرفضون الأولاد الذين قذفوهم بشهوتهم في بطون تلك النساء، فلا يسجلون الأولاد بأسمائهم، وتبقى الفتاة الضائعة التي باعت نفسها بثمن بخس دراهم معدودة، تجر ورائها مشاكل رعاية طفل ضائع بريء.

وقد كان وصفها للمتعة وكرهها لها وصفاً بديعاً لا يمكنني تعبيره بالقلم...

٥) سألنا امرأة أخرى عن العشق، ما هو العشق؟ فأجابت: لا يعني العشق اليوم إلا الجريمة والزنا والمتعة ثم الفراق...

مع أن هذا التقرير الميداني قام به طالبان من الجامعة وسلماه إلى القسم الخاص، فلم ينشر لما فيه من الكشف عن سوءة آراء فقهية ضالة تحكم باسم الدين، والدين منها بريء، ولما فيه من الكشف عن أسرار المجتمع المكشوفة التي يراها ويعرفها الجميع لكنهم لا يتجرؤون على كشفها وإبرازها.

كنت يوماً في درس مادة "المعارف الإسلامية" ـ الدينيات ـ للأستاذ محمديان، وكان في الفصل عدد من طلاب السنة، يبدو أنهم حضروا ضيوفاً على الجامعة، كان أحدهم يلبس زياً كردياً والآخرون فيما يبدو كانوا من السنة التركمان..

فجأة طرحت قضية المذاهب وانجر الكلام إلى الخلافات المذهبية.

أذكر أن السيد محمديان في حديثه عن موضوع ما، شبَّه الخلفاء الثلاثة (أبوبكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم) ببقرة حلوبة أراقت حليبها على الأرض بعد ما استحلبها صاحبها.

وكان أثر هذا التمثيل على الطلاب الضيوف من السنة سيئاً للغاية إلى درجة أن الطالب الكردي غضب غضباً شديداً وترك المحاضرة ولم يرجع..

كل هذه الوقائع التي حصلت خلال الفصل الثاني من العام الدراسي الثاني شغلتني عن الدراسة الجادة، فكنت لا أرغب كثيراً في المواد العلمية، ولا أهتم بها كما ينبغي، كما كنت أشعر بملل شديد وتعب روحي.

زد على ذلك أن هذه الأحداث جعلتني أكره المتعة وأشعر بالقشعريرة والكره الشديد من مجرد وصفها أو الحديث عنها.

وهكذا انتهى العام الدراس الثاني...

بداية السنة الثالثة في الجامعة كانت مع نهاية الفصل الأول من مقطع "الخارج" من الدراسة الدينية في الحوزة، لكن بما أن الدروس الجامعية في هذه السنة كانت دروساً عملية تستوجب الحضور في المستشفى اضطررت إلى إيقاف دراستي في الحوزة إلى إشعار آخر.

في هذه السنة طرحت أسرتي قضية زواجي، وأنني يجب أن أفكر في نفسي وفي مستقبلي.

عائلة الوالد والجد والجدة كانوا جميعاً مصرين على زواجي من ابنة عمتي، وكانت زميلتي في الدراسة في كلية الطب، وكنت أعرفها وتعرفني جيدا، وكنت أشعر بأن التعايش معها ضرب من المستحيل، وذلك لأن رؤيتها للواقع والحياة كانت غير رؤيتي للمجتمع وللناس وللحياة.

لكن لم يسمع أحد كلامنا، ورغما عن أنوفنا بتدخل من العوائل والأسرة تم هذا الزواج وقررت العوائل أن نذهب إلى أمريكا لإكمال الدراسة والحصول على التخصص.

كنت أشعر بأن دخولي في الجامعة وحضوري في المجتمع الجامعي في هذه السنة كان أسهل بكثير مما كان في العام الماضي، وكنت أشعر بأن تلك المصائب والمشاكل التي كنت أعيشها في العام المنصرم قد ذهب أوانها.

كان الجو في الجامعة لا يمكن أن يخلو من بعض المصادمات الفكرية وبعض الجدل والنقاش العقيم؛ وذلك لأن الجامعة تعتبر ملتقى الأفكار المختلفة والتصورات المتباينة، ومن هنا فلا يمكن فصل الجامعة عن بعض التطورات وبعض الأمور المهمة، ولعله يجدر بي أن أشير إلى اثنين منها:

١) كنت منكباً على دروسي في الجامعة ومشغولا بشؤوني الخاصة وبدراستي، وإذا بالحوزة العلمية في قم تستدعيني للحضور إلى قم عاجلا.

كانوا قد أعدوا بحث ومناقشة ومدارسة في الأصول والمبادئ العقدية بين المذهب الشيعي والمذاهب السنية الأربعة، فاستدعيت لكي أكون عضوا في الفريق الشيعي الذي يناقش هؤلاء السنة.

يبدو بأن إدارة الحوزة في قم اختارت مجموعة من طلابها السابقين المتفوقين، ممن اشتهروا بالعلم والاعتزاز بالمذهب، والقدرة على النقاش والمناظرة والجدل، ومن هنا جاء اختياري لأكون مع الفريق الذي أعد لهذا البرنامج المعد له مسبقاً.

دخلت حلبة المناقشة والبحث برفقة رفقائي من علماء الشيعة، مع مجموعة من علماء السنة أحضروا من منطقة "تركمن صحراء" الإيرانية.

وكان الهدف من هذا البرنامج أن نعد مجموعة من الأفلام من هذا اللقاء وننشرها بين الناس ليعرفوا ضعف المذهب السني وتفاهته، ويدركوا بأن المذهب الشيعي هو المذهب الحق الذي لا مرية فيه!!

بدأت المناظرة بيننا وطرحنا أسئلتنا وشبهاتنا، لم تستمر جلسة المناظرة الصورية بضعة ساعات وإذا بنا نحن نخرج منتصرين كالأسود التي قضت على فريستها في طرفة عين، وكأن علماء السنة بقوا منبهرين أمام علمنا و شبهاتنا، وكأنهم لم يجدوا جواباً يردوا به على ما طرحناه من الشبهات والتساؤلات، وبقوا متحيرين وخرجنا وكأننا أفحمناهم!

انتهت المناظرة وملأت أخبارها وتفاصيلها الجرائد التي ظلت لبضعة أيام تهتف لنا بالحياة، وتشيع في العالم خبر انتصارنا على علماء السنة، وتزين صفحاتها بصور ملونة لي كأبرز المناظرين!!

ساندت جهات عديدة في تضخيم هذه المناظرة، وإبرازها في صورة تليق بالنصر الحاسم الذي حصل عليه المذهب الشيعي، وكأن ثورة وقعت فارتفعت فيها رؤوس كان ينبغي أن ترفع قبل آلاف السنين، وانخفضت رؤوس كان ينبغي لها أن تذل قبل آلاف السنين!!

وكان لهذه المناظرة أصداؤها الإيجابية جداً بين طلبة العلم في الحوزة، وكأن روحاً جديدة نفثت في أجسامهم، وكأنهم وهبوا حياة وعادوا إلى وجه الأرض بعدما كاد التراب يواريهم، ففي كل مكان وفي كل جلسة كانت ضحكات الانتصار ترتفع، والعجب يملئ الأجواف والقلوب.

لكنني لم أكن أرى في هذا النصر فخرا ولا عزا؛ لأنني كنت أؤمن بأن جلسة صورية مثل هذه لا تستطيع أن تقضي على مفاهيم ومبادئ أكلت عليها الدهور والأزمان، وأن هذا التفوق الذي جنيناه لا يعد تفوقاً علمياً كما صورته الجرائد والمجلات والمحافل والمجالس المختلفة..

لم أكن سعيداً على نجاحنا؛ وذلك لأنني كنت أعرف مستواي العلمي أكثر من الآخرين.

كنت أؤمن أن مثلي لا يستطيع أن يقلع شجرة أثمرت أفكاراً ومفاهيم طوال أربعة عشر قرنا من الزمان في مناظرة صورية مثل هذه.

كنت أشعر أن طالباً شيعيا بسيطاً مثلي لا يستطيع أبداً أن يفحم علماء السنة بهذه السهولة، وكنت أرى في عيون هؤلاء العلماء أنهم يملكون أجوبة، وأن في رؤوسهم الشيء الكثير، لكنهم لا يبدونه.

ولعل رفقائي كذلك كانوا يدركون مثلي تماماً، أن سكوت علماء السنة كان راجعاً إلى أمرين لم يرد أحد من أصحاب الضجيج الإعلامي أن يشير إليهما:

أ ـ أن الجو بالنسبة لهم لم يكن مساعدا، فهم كانوا كالصيد في شبكة الصياد، أحضروا من مناطقهم البعيدة إلى قم في وسط جو شيعي يهتف فيه كل شيء للخصم المناظر، ثم إنهم شعروا بالكاميرات وعدسات التصوير التي تصور وتسجل كل كلمة يتفوهون بها، فلم يكونوا يرغبون أن يدخلوا في النقاش وأن يجادلونا فيما نقول، ولم يكونوا يتطرقون إلى المسائل الاعتقادية إلا مكرهين.

ب ـ ثم إنهم لم يكونوا على استعداد للبرنامج، ويبدو أنهم أرغموا فيها دون أن يعرفوا عن الموضوع وعن السبب الذي من أجله أحضروا إلى قم، فلما وجدوا أنفسهم في ساحة مناظرة أخذ الخصم فيه عدته كاملة، حاولوا ألا يخرج من أفواههم كلمة قد يعاتبون عليها.

فما كانت تقوله الجرائد والمجالس، وما كنَّا نزعمه من إفحامهم وانتصارنا عليهم، كانت مجرد حركة دعائية ليست لها من الواقع شيء.

فهم كانوا يفضلون الصمت خوفاً على أنفسهم، تماماً كالفريسة بين مخالب العقاب، فأية حركة منها قد تؤدي بها إلى التهلكة والسقوط في الشعاب الموحشة!

كنت أرى في قرارة نفسي أن هذه الجلسة أو المناظرة وما تبعها من التضخيم الإعلامي والنفخ فيها في قم لم يكن لمجرد إبراز العضلات، وإنما كان برنامجاً دعائياً إعلامياً، يستغل جميع الأدوات الدعائية والفنية في صناعة بانوراما إعلامي ضخم ينتصر للمذهب الشيعي، ويحرض الناس للاعتناق به.

ولو كان الهدف من مثل هذه المناظرة دراسة علمية لبيان وجه الحق في المسائل المختلف فيها، كان ينبغي أن يدعى لها مجموعة من كبار العلماء وسادة الفكر الإسلامي والفقهاء والفلاسفة وأهل المنطق والاستدلال العقلي، لا بعض الطلبة أمثالي ممن لا يعرف شيئاً عن الأصول والمبادئ الاعتقادية لدى السنة!

٢) الدعاية والتضخيم الإعلامي الذي تبع هذه المناظرة قدمني للمجتمع كوجه علمي بارز، وجعل الناس يدندنون باسمي وبكلماتي.

أعدت الجامعة برنامجاً آخر وطلبوا مني أن أحاضر فيها عن المسائل الأخلاقية، ولم يحددوا موضوع البحث أو المحاضرة، فقط قالوا: تحدث بشكل عام عن نتائج فقدان الحس الديني أوبعبارة أخرى عن طرق اجتناب الذنوب والمعاصي.

بدأت المحاضرة بعد أن جمعت شتات أفكاري، وكان فيها تلك التجارب المريرة التي مرَّت عليَّ في نهاية السنة الدراسية الثانية، ولاسيما ذلك التقرير الذي أعده زملائي عن المتعة، وذلك الحوار الذي تم مع السيدات الثلاثة في حديقة (اكباتان) ـ وقد أشرت إليها سابقا ـ فتحدثن عن المتعة والآثار التي تسببها وتبعاتها على المجتمع.

كنت أعرف جيداً أن محاضرتي طعن في الرؤية الشيعية للمتعة، وأنها ستضع علامات استفهام بارزة على المذهب ـ على الأقل من هذا الجانب ـ لكنني لم أجد بداً من أن أصرح بكل تلك الخواطر المؤلمة.

كانت القاعة مكتظة بالشباب الجامعيين والمثقفين والأساتذة ومن بينهم السيد الدكتور حكاكيان ـ وقد سبق أن تحدثت عنه بالتفصيل ـ الذي أبى إلا أن يبث سمه فقال في جلسة حضرها عدد كبير من الأساتذة: بأن محاضرنا هذا ينتمي إلى أسرة متغربة تعتز بالثقافة الأوربية، وما كان ينبغي أن نسمح له أن يتجرأ بالطعن في المتعة وهي من مسلمات المذهب الشيعي، ولا ينبغي لنا أن ننتظر من مثل هذا الشخص مواقف أفضل من هذا، فالمنبت السوء لا يخرج نباتا حسنا، وما في النار للظمآن من ماء!

كنت أشعر جيداً بأنه يحاول الطعن في سمعة عائلتي والانتقاص من أسرتي.

تضايقت جداً من موقف الدكتور حكاكيان هذا، وكنت أحاول أن أجد سبيلا لأنتقم منه، فسافرت إلى قم وطرحت مشكلتي على السيد "آية الله وحيد الخراساني" أستاذي وصاحب سري ورجوته أن يساعدني في حل هذه المشكلة العويصة، وفي الانتقام من هذا الرجل المزعج.

فقال السيد آية الله وحيد الخراساني: بأن أبحث عن أية نقطة ضعف أو حركة مرموزة لدكتور حكاكيان لنتصرف من خلالها.

وبدأت في البحث عن شيء يمكن أن أزود به آية الله الخراساني.

قدراً حصلت على شريط يتحدث فيه الدكتور حكاكيان مع رجل آخر، فيه شيء من الطعن بقيادات الثورة والمرشد العام للثورة الإيرانية، فرفعت الشريط مباشرة إلى آية الله الخراساني، وشفى هذا الشريط غليل صدري قليلا، إذ سبب مشاكل كثيرة لحكاكيان وظل في السجن لمدة ما.

هكذا انتهى العام الدراسي الثالث في الجامعة بعد تلك الأمور والخواطر التي سببت لي بعض المشاكل وبعض التحولات النفسية والعاطفية.

كانت لهذه التجارب الأخيرة دورها البارز في صناعة شخصيتي، فقد تعلمت منها كيف ينبغي أن أواجه المشاكل، وكيف يجب أن أتحرك في ظروف الحياة المختلفة، وكيف أستطيع أن أتعايش مع مشاكل الجامعة ومسائلها، أو بعبارة أخرى لم أعد ذلك الشاب المغرور والعاطفي والثوري، بل أصبحت رجلا محايداً ناضجاً، ومنطقياً يحتاط في كل شيء، ويضع لكل شيء حسابه.

في هذه الفترة حدثت لي حادثتان كانت لهما دور إيجابي في مسيرة حياتي وفي بناء شخصيتي وفي البحث عن وجوه الصواب في أفكاري واعتقاداتي، وأنهما أصبحتا نبراسين في طريقي نحو الهداية والوصول إلى شاطئ السعادة، وترك ما كنت أؤمن به من العقائد الباطلة.

## السفر إلى "كنكان" من محافظة " بوشهر"

كنَّا نستقبل الأيام التي ترمز إلى حادثة تاريخية مهمة جدا لدى الشيعة وحدهم، وهي الأيام الموافقة لشهادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسولﷺ حسب ما تعتقده الشيعة.

كانت الأقمشة السوداء تغطي أبواب المساجد وجدرانها رمزا للحداد والحزن، امتلأت الشوارع والجدران بلافتات، إما كتبت عليها جملات دعائية تلعن قتلة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن ظلمها، أو عبارات تذكارية تشير إلى هذه الحادثة المؤلمة وتسلّي الأمة المسلمة وتعزيها فيما أصابها.

كنت أسمع بعض العلماء على المنابر يصرخون بأننا "نؤمن بوحدة الأمة" ونسعى إليها، وكنت أشم رائحة النفاق والتناقض في كل مكان.

خططت الحوزة العلمية بقم لبرامج تعزية وتسلية وقراءة للأذكار وللأناشيد الدينية (الروضة) لمناطق مختلفة من مناطق السنة، وكان منها برنامج أعد لمنطقة كنكان[١] من محافظة "بوشهر" من مناطق أهل السنة، وعيّنتُ والسيد حجة الإسلام والمسلمين "محمد حسين فاطمي" لإجراء هذا البرنامج.

كنَّا نعقد في كل ليلة جلسة نتحدث فيها عن حقد الحاقدين، وظلم الجبابرة الذين أبوا إلا أن يلطخوا التاريخ بجريمتهم في استشهاد بنت الرسولﷺ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

كنا نحاول أن نكشف الستر عن وجوه تلك العصابة المجرمة التي ارتكبت هذه الجريمة!!، وبما أن المنطقة في الأصل منطقة سنية أحدثت محاضراتنا ضجة صامتة في المدينة وعكرت الجو هناك.

في إحدى الليالي بعد المحاضرة والجلسة البكائية وقراءة الأناشيد الحزينة، ذهبنا إلى بيت أحد أصدقائنا، وكان يسكن في تلك المدينة وكان على صلة بنا وبإدارة البرنامج.

حضر عنده رجل كان يبدو مضطربا حزينا، جلس أمام السيد فاطمي، وقال: السيد المحترم لدي بعض الاستفسارات، فهل تسمح لي؟، فقال السيد فاطمي: تفضل، قال الرجل المضطرب، وهو يحاول أن يتماسك نفسه: هل حضرتك متزوج؟ أجابه السيد فاطمي مستغرباً: نعم، سأله الرجل: وأتصور بأن زوجتك جميلة جدا!!

طريقة الرجل في طرح أسئلته وكيفيتها جعلت السيد فاطمي يثور ويغضب غضبا شديدا، وفي ثورة الغضب لم يتمالك نفسه فلطم الرجل لطمة شديدة في وجهه، وهكذا انقلبت جلسة الحوار والبحث إلى ساحة صراع وعراك.

---

(١) منطقة كنگان.

استطعنا بعد تدخل من أسرة صاحب البيت أن نهدئ الموقف.

لكن الرجل الذي تبين لنا أنه سني كان يصرخ في غضب شديد ويقول للسيد فاطمي: أنت لست غير رجل متطفل على العلم والعلماء وتغار على زوجتك إلى هذه الدرجة فلا تستطيع أن تتحمل كلاما بسيطا فيها.

فيا أيها الرجل الأحمق ويا...! كيف تفتري على أمير المؤمنين علي ﵁ صهر الرسول ﷺ وفاتح خيبر والبطل الذي سماه الرسول بأسد الله، هل كان مثله يسكت وهو يرى أعداءه يضربون زوجته ويشتمونها ويهينونها؟! ألا تستحي من نفسك وأنت تكذب وتفتري على صحابة الرسول ﷺ؟ ما تقوله وما تفتري به على التاريخ وعلى الصحابة ليس إلا شتما وإهانة بشخصية علي ﵁؟!

ثم التفت إلينا نحن جميعاً وصرخ فينا: يا أيها الخبثاء!! أخرجوا من مدينتنا بسرعة. ثم قال لمن ضيّفنا: أخرج هؤلاء الأشرار من بيتك لئلا يحاسبنا الله بخبثهم ودجلهم فينزل علينا عذابه الشديد وعقابه الأليم.

أثّر هذا الموقف فيّ إلى حد كبير، كانت خاطرة مريرة ترسخت في رأسي ولا أظنني أستطيع أن أنساها أبدا.

رجعنا إلى قم ورفعنا تقرير سفرنا إلى إدارة " الحوزة العلمية" وشرحنا تفاصيل ما حدث لنا هناك، ولم يكن من المسؤولين إلا أن قالوا: لا بأس عليكم... لا تهتموا بالموضوع أبدا فالسنة على طول التاريخ كانوا يكرهون أهل البيت ويعادونهم، فلا تتعبوا أنفسكم وحاولوا أن تنسوا ما حدث لكم.

كل حاول أن يرفع عنَّا شيئا لما حدث بتفسير أو تأويل يكشف عن عداوة السنة لأهل بيت الرسول ﷺ!

لكن هذه الحادثة أثرت فيّ تأثيراً كبيراً وجعلتني أراجع نفسي كل حين، وأشك في كل ما أعتقده وما أؤمن به من الأفكار والعقائد الشيعية.

# السفر إلى ديار العشق (بلوشستان)

أبدأ باسم الله الواحد الذي يقهر الظالمين...

وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وعلى صحابته الغر الميامين...

ثم أحكي حكاية سفري لأصحابي...

قدر الله أن أخرج من قم في ركب مناظرين...

قطعنا بأمر من أستاذنا الصحاري والفيافي...

ذهبنا إلى ديار البلوش، ما أسعدك يا رمز العز يا أيها البلوش...

في حيرة منا لم يستضيفونا إلا باللبن...

كان بحثنا "آية التطهير" ومن هنا أخذنا في التغيير...

أدركنا بأننا نحن الشيعة لا أساس لنا ولا أصول إلا الشهوات واتباع الفضول...

إلا المتعة والبكاء والعويل، لا الحديث عن الشجاعة والبطولة...

وماذا عساي أن أقول عن حكاية علي رضا رحمة الله عليه [١] وقد قضى نحبه في سبيل عقيدته...

بعد أن اغتالت رصاصة الغدر هذا الورد في تلك الليلة المريرة...

ما أن استقر عقرب الساعة على الثانية عشرا إلا وقد طارت روحه إلى جنان الخلد...

وكان آخر ما أوصاني فقد اهتديت فالحق بأهل السنة لتسعد في الدنيا والآخرة، وليجمعنا ربنا إخوانا على سرر متقابلين.

ما أعظم ما أوصاني وقد دخلت وصيته قلبي وتغشاني...

يا أبي أين أنت؟ إلى أين تمضي؟ لماذا تجري وراء الضلال؟

إلى أين يا أصحابي وزملائي؟ تعالوا والحقوا بي في ركب الموحدين...

---

(١) سيأتي ذكر الشهيد "علي رضا محمدي" زميل المؤلف وصديقه ورفيقه في رحلة الهداية.

ويا ليت ربي يهبني الشهادة؛ لألحق بأخي وحبيبي علي رضا[١].

لم تمر خمسة أو ستة أشهر من سفرنا إلى منطقة السنة "كنكان"، وإذا بإدارة الحوزة العلمية وقد رتبت برنامجاً دعوياً آخر إلى مدينة "إيرانشهر" من مدن محافظة بلوشستان، وقد اختاروا لهذه الرحلة مجموعة من أبرز وأقوى الطلبة المتفوقين في الحوزة العلمية بقم، ممن لهم تجارب جيدة في الدعوة والمناظرة والنقاش والجدل، وكان الهدف المعلن والظاهري لهذه الرحلة، أن نستكشف الآثار الإيجابية أو السلبية التي تركتها المؤتمرات واللقاءات التي أعدت في موضوع تقريب المذاهب ـ وحدة السنة والشيعة ـ في هذه المنطقة.

لكن في واقع الأمر كان يهدف من خَطَّط لهذه الرحلة ونسق برنامجها، أن نناقش أحد أبرز علماء السنة في بلوشستان، ممن لهم صيت واسم جيد، ويتمتع باحترام وتبجيل بين السنة، وقد ضرب مثلا رائعاً في الزهد والبساطة والإخلاص.

وقد كان أمره يهم السادة المسؤولين في قم، وذلك لأنه كان صاحب مواقف شديدة تجاه الشيعة. وكانت الإدارة في قم تعتبره من رؤوس الوهابيين وكان يعيش بعيدا عن عالم السياسة.

كان الهدف الأصلي وراء سفرنا هذا أن نبحث عن مواطن الضعف في هذا العالم السني، وأن نعرف أين وكيف يطبع كتبه ومن يموله ويساعده، ومن يعينه في إدارة مدرسته وتكلفة مصاريفها.

وكان فريقنا السداسي يتكون من كل من:

١ـ السيد أبوذر فاطمي ٢ـ علي رضا محمدي – رحمه الله – ٣ـ السيد أبو طالب حسيني ٤ـ محمد رضايي ٥ـ عبد الحسين جلاليان ٦ـ مرتضى رادمهر.

كان السيد أبوذر فاطمي هو مسؤول الفريق وأمير الركب.

استدعينا جميعاً إلى قم إلى مكتب السيد آية الله وحيد الخراساني، حضر اللقاء كذلك السيد غلام رضا كاردان، والسيد أبوذر فاطمي وآية الله أستادي.

استمعنا إلى الوصايا والأوامر والتوصيات الأخيرة وإلى تفاصيل الواجبات التي كلفنا بها.

شرح السيد آية الله وحيد الخراساني أهمية هذا السفر والأهداف التي يجب أن نحققها.

---

(١) أبيات شعرية تصور حنان الشاعر ـ المؤلف ـ إلى أخيه الشهيد واعتزازه بعقيدته وإخلاصه لها.

شرح لنا خطة البرنامج وتفاصيله وأشار إلى أنه سبق أن التقى بهذا العالم السني في إحدى مؤتمرات تقريب المذاهب، وحاول أن يبين لنا وجوه أهمية هذه الرحلة، وأهمية هذا الرجل السني وأنه من كبار علمائهم.

بعد تفهيمنا الخطة ودَّعونا، ورتب البرنامج بحيث أن يجتمع أعضاء الفريق في طهران ـ العاصمة ـ ومن هناك يتم نقلهم إلى زاهدان، ومن زاهدان إلى منطقة ذلك العالم السني.

وحسب الخطة المرسومة كان السيد فاطمي وحده يلبس زي علماء الشيعة، أما نحن أعضاء الفريق فكنا نلبس الملابس العادية.

عند الغروب دخلت أنا برفقة علي رضا محمدي ـ رحمه الله ـ إحدى مساجد السنة.

اقتربنا إلى رجل كان يلبس لباس أهل المنطقة ـ البلوش ـ وسلمنا عليه وقدمنا أنفسنا إليه بأننا كنّا شيعة وأصبحنا الآن من أهل السنة، ونحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة في المذهب السني، وأردنا منه أن يعرفنا إلى عالم يستطيع أن يشبع نهمتنا.

رحب بنا الرجل بكل بساطة وصدقنا فيما نقوله وأعطانا عنوان بيت ذلك العالم السني الشهير الذي جئنا لنلتقي به، وأوصانا ألا نكشف اسم العالم إلى الآخرين ـ حرصا على حياته ـ وفي الصلاة صففنا مع الناس وصلينا على طريقة أهل السنة والجماعة وربطنا أيدينا على صدورنا في القيام حتى نثبت أننا أصبحنا من السنة!!

راجعنا العنوان بعد الصلاة وتأكدنا من أن العنوان يطابق عنوان بيت ذلك العالم الذي بعثنا من أجله.

رجعنا إلى بيت إمام جمعة الشيعة في مدينة "إيرانشهر" وشرحنا وضع المنطقة وما حصلنا عليه من المعلومات لأعضاء الفريق ورتبنا برنامجنا على وفق ما رأيناه.

مساء اليوم التالي انطلقنا بسيارة مكتب المرشد العام للثورة برفقة رجل يعرف المنطقة إلى بيت ذلك العالم، واتفقنا أن ترجع السيارة بعد أسبوع إلى نفس المكان ليرجع أعضاء الفريق إلى المقر الرسمي.

قبيل المغرب تقريباً أرشدنا أحد طلاب الحوزة العلمية ـ ويسمونها المدرسة الدينية ـ إلى دار الضيافة في المدرسة وجهز لنا مكانا هناك.

بعد فترة وجيزة أحضروا لنا طعام العشاء وكان مجرد الخبز والمرق مما أعد للطلاب مسبقا. استغربنا جدا من ضيافتهم لنا بهذه الطريقة، فقد كنَّا نعتبر أنفسنا ضيوفاً خاصين، ومجموعة من كبار العلماء حضرنا من مكان بعيد جدا، مع ذلك فهم يستضيفونا بالخبز والمرق فقط.

غضبنا من تصرفهم هذا واعتبرناه إهانة مقصودة لنا، مما جعلنا لا نرغب في العشاء كثيرا.

بعد ذلك فهمنا أنهم يعاملون الجميع بنفس المعاملة، فليس لديهم ضيوفاً خاصين ولا غير خاصين، كل من يأتيهم يأكل مما يعد للطلاب ولا فرق ولا ميزة عندهم لأحد على أحد، ولا لضيف على ضيف.

بعد العشاء ذهبنا إلى المسجد لأداء صلاة العشاء وأمنَّا في العشاء الشيخ نفسه ـ وكانوا يسمونه "مولانا" وكنَّا نراه لأول مرة.

بعد أداء الصلاة خرج الشيخ من المسجد ولم يتم التعارف بيننا بعد.

زيُّنا وبالأخص لباس السيد فاطمي ـ زي علماء الشيعة ـ كان يشير إلى أننا لسنا من أهل المنطقة وأننا ضيوف عليهم، لكن لا أحد ألتفت إلينا ولا اهتم بنا اهتماما خاصا.

لم يصافحنا ولم يسلم علينا إلا عدد قليل من المصلين، وكأن أناسا على شاكلتنا كثيراً ما يأتون إلى مسجدهم وكثيراً ما يجدون ضيوفا مثلنا فلم يستغربوا من وجودنا.

رجعنا إلى دار الضيافة وكنَّا في أشد الحزن والغضب من طريقة تعاملهم معنا، إذ اعتبرونا ضيوفاً عاديين في حين أننا كنَّا نعتبر أنفسنا ضيوفا خاصين يجب أن نحترم ونستقبل بطريقة خاصة تليق بمقامنا ومكانتنا.

## اليوم الأول

استطعنا أن نلتقي بسعادة "مولانا" ـ الشيخ ـ بعد ما أدينا صلاة الفجر جماعة، وحضرنا محاضرة قصيرة له في التفسير يلقيها يومياً بعد الفجر.

كان هذا الدرس في تفسير سورة النور، تحدث فيه الشيخ عن حديث الإفك، وكيف أن الله – عز وجل –أنزل براءة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– عما افتراه المنافقون من فوق سبع سماوات، وأظهر أسفه الشديد على من سماهم "بالمساكين" الذين لم يزالوا يتفوهون بكلمات يطعنون بساحة أم المؤمنين وينقصون من مكانتها!

ثم رافقنا الشيخ إلى دار الضيافة لتناول الفطور.

كان وجه الشيخ يتلألأ صفاء وإخلاصاً، وكانت ترقد على شفتيه بسمة طاهرة، قال لنا في كلمات تفوح صدقا ومحبة: أتصور بأن البارحة لم تكن ليلة سعيدة لكم! واعتذر أشد الاعتذار، وقال: بأن ظروفنا الاقتصادية لا تسمح لنا أن نؤدي حق الضيافة لضيوفنا المحترمين كما ينبغي...

دام اللقاء الأول على مائدة الفطور أقل من ساعة قضيناها في التعارف وبعض المقدمات، ثم استأذن الشيخ وخرج ليعد نفسه للتدريس.

في هذا اللقاء السريع تبين لنا بأن تلك الصورة الباهتة التي قدمت لنا عنه في قم لم تكن صورة صادقة عن شخصيته، وأدركنا جيدا بأن نسبة نجاحنا إن خضنا مناظرة علمية معه ليست نسبة نحسد عليها، بعبارة أخرى عرفنا جيدا بأن الرجل جبل شامخ في العلم والمعرفة والتقوى، وأن مستوانا العلمي أقل منه بمراحل فلا نستطيع أن نجابهه كما كنا نتصور ونحن قادمين إليه.

بدا لنا أننا لا نستطيع أن نجلس معه في لقاء آخر إلى صبيحة اليوم التالي، فاضطررنا أن ننتظر ونترقب اللقاء الثاني.

قررنا أن نذهب إلى مكتبة المدرسة الدينية لنرى من أين يرتوي هؤلاء الناس ومن أين يأخذون علمهم.

كان كل همنا أن نعرف كل ما يدور حولنا، لنعد تقريرا شاملا يشمل على جميع النقاط التي بعثنا من أجلها... الكتب، المقالات، البحوث، المصادر... كل ما يمكن استغلاله في مواجهة هؤلاء القوم.

دخلنا المكتبة والتقينا فيها بأحد مدرسي المدرسة وتعرفنا عليه، وعرفنا بأنفسنا.

عرفنا من خلال حديثنا معه بأنه أحد أبرز مدرسي المدرسة، كان على إحدى جدران المكتبة خريطة تاريخية تشير إلى الفتوحات الإسلامية التي حصلت في العصر الإسلامي الأول، أي" أيام الخلفاء الراشدين".

اقتربنا من الخريطة واصطنعنا نقاشا حولها، وإذا بالمدرس يجيب على كل تساؤلاتنا عن الموضوع وعن الخريطة وتفاصيلها بكل صدق وثقة وشفافية، دون مجاملات أو نفاق.

كانت كل كلمة منه تثير إعجابنا به وتجعلنا نتحير ولا نكاد نصدق ما نراه، في منطقة نائية كهذه، في ظلال كل معاني الفقر والحرمان كنَّا نجد مثل هذه الشخصيات العلمية المثقفة، والأعجب من هذا كله، أنه كان يدرك تماما بأننا من علماء الشيعة، وأننا بعثنا للتجسس ومعرفة ما يدور عندهم، وأننا قد نسبب له مشاكل لا حصر لها، لكنه لم يكن يخفي شيئاً وكان يبدي أراءه بكل جرأة وصدق وطمأنينة.

أيا كان الأمر، لم نحصل خلال زيارتنا للمكتبة على شيء يمكن أن نستغله أو نبلوره في تقريرنا، فرجعنا إلى دار الضيافة.

عقدنا جلسة للمشاورة العاجلة فيما بيننا في دار الضيافة.

راجعنا فيها لقاءنا القصير مع الشيخ من كل جوانبه، وهذا اللقاء الأخير مع المدرس وما رأيناه في المكتبة وما تبين لنا من الحقائق وما وقفنا عليه من واقع الأمر، ثم اتفقنا أن نبرمج لقاءنا الثاني مع الشيخ، فرتبنا أسئلتنا واستفساراتنا مع الشيخ، واتفقنا على ألا نخوض في المسائل الخلافية وأن نجعل اللقاء هادئ، نطرح كل يوم سؤالا أو سؤالين ولا نزيد...

قررنا أن نحصر اللقاء الثاني فيما يتعلق بالمدرسة وما يدور فيها وبرامجها ومناهجها ثم نخوض في قضية مؤتمرات تقريب المذاهب وجلسات الوحدة بين السنة والشيعة، وما ترتبه الحكومة وآثارها ونتائجها على الشعب والمنطقة. وبذلك نستطيع أن نقرأ عقلية الشيخ ومنهجه في هذا الموضوع.

## اليوم الثاني

بعد أداء صلاة الفجر من اليوم الثاني أظهر الشيخ في تواضع واحترام استعداده لمساعدتنا، إن كنا نواجه مشكلة أو لدينا استفسارات يستطيع هو أن يشارك فيها.

استغللنا الفرصة وبدأنا معه في الموضوع المتفق عليه سابقا، فسألناه عن موقفه من مؤتمرات تقريب المذاهب ـ الوحدة بين الشيعة والسنة ـ.

بدأ الشيخ يتحدث عن نتائج هذه المؤتمرات وعن رأيه فيها بكل احترام وتواضع وهدوء، فقال: وإن كنت أعترف بأن هذه الجلسات وهذه المؤتمرات الكثيرة حققت بعض النتائج للقائمين عليها، لكن النظرة الدقيقة في آثار هذه المؤتمرات ونتائجها تجعلني بألا أطمئن إليها، ولا أتصور بأنها ستحقق شيئاً كثيراً أو تخفف من الفجوة الكبيرة بين السنة والشيعة أو توصلنا إلى وحدة حقيقية بين الفريقين.

ثم أضاف: لا بد أن ندرك بأن هذه الوحدة التي نحلم بها لن تتحقق إلا إذا توقف علماء الشيعة عن التطاول على مقدسات أهل السنة والجماعة، و إذا تركوا الطعن فيما يعتقده أهل السنة، ولم يتعرضوا لمقام الصحابة - رضي الله عنهم - بكلمات تجرح قلوبهم، وبمواقف تجعلهم يشككون في أهداف هذه المؤتمرات.

كان في هذا اللقاء مجموعة من طلاب المدرسة ومدرسيها، وكان بعضهم يحاول كذلك أن يشاركنا في الحديث ويدلي بدلوه فيما نقوله.

قال أحدهم دون مهابة أو خوف: إن كنَّا نزعم بأن حكومتنا إسلامية، وأننا نطبق أحكام الله فبالله عليكم! قولوا لنا أي حق أو أي فتوى شرعية تبيح لكم أن تخربوا مسجد "الشيخ فيض محمد" في مدينة " مشهد"[١] وتجعلوا مكانه حديقة للنزهة؟!

رد السيد فاطمي على هذا الاستفسار بأن أرض مسجد شيخ فيض محمد كان من موقوفات المقبرة الطاهرة والمرقد العالي لسيدنا الإمام الرضا عليه السلام.

---

(١) كتب الشيخ موسى كرمبور رحمه الله إمام مسجد الشيخ فيض كتاباً عن المسجد، والذي يقرأ الكتاب لا يملك أن يمنع الدمع من عينية، وقد طبع بالفارسية، وترجم للعربية وقريباً سيطبع.

فغضب الشيخ وقال بصوت حاسم: أ ترى أن يبقى المكان مسجداً يرتاده المصلون يذكرون الله فيه ويصلون صلواتهم ويتلون القرآن الكريم، ليرجع ثواب كل ذلك إلى الإمام الرضا أفضل أم تقلّبوا بيت الله حديقة يتنزه فيها شرار خلق الله، يرتكبون فيها أبشع الجرائم الأخلاقية؟!

كيف تحلمون ببناء جسور من الوحدة والتفاهم، وأنتم جعلتم الإعلام الرسمي، من جرائد ومجلات وتلفاز وإذاعات وجميع المراكز الحكومية والمكاتب الرسمية، تهتف صباح مساء بما يثير مشاعر أهل السنة، وبما يطعن صراحة في عقائدهم واعتقاداتهم.

كيف تزعمون الوحدة وأنتم لا تسمحون لأهل السنة في طهران [1] ـ عاصمة البلد الإسلامي كما تزعمون ـ أن يبنوا مسجدا لهم يعبدون الله فيه؟

فبالله عليكم كيف تتحقق الوحدة وهذه أفعالكم معنا؟ كيف نصل إلى نقطة تجمع بيننا وأنتم تهينوننا صباحا ومساء؟!.. ألا توافقونني على أن هذه الوحدة التي تزعمونها ليست إلا لعبة سياسية للضحك على الأذقان؟!

استمر هذا اللقاء ساعة واحدة تقريبا، خرج الشيخ بعده إلى درسه، وبقينا نحن نترقب اليوم التالي، ولقاء آخر.

مساء ذلك اليوم حدثت واقعة لم تكن مهمة لكنها كانت طرفة جيدة لنا.

خرج السيد فاطمي رئيس فريقنا وكان يلبس العمامة والعباية ـ الزي الخاص بعلماء الشيعة ـ من دار الضيافة، فاستقبله رجل عجوز كان يلبس ثوباً عربياً طويلا، فقدم إليه إبريق ماء وقال له: خذه، يا أيها المشرك المعمم. (أي صاحب العمامة)!

حزن السيد فاطمي وجميع أعضاء الفريق من هذا الموقف حزنا شديدا، واعتبرناه إهانة لا يمكن السكوت عنها، وكان تأثيرها على أنفسنا كبيرا حيث لم نستطع أن ننام تلك الليلة جيدا.

---

(١) يتجاوز عدد أهل السنة في طهران خمسمئة ألف سني، لا يسمح لهم ببناء مسجد واحد، وقد استولت الحكومة على قطعة أرض اشتروها لهذا الهدف، كما أنها استولت على المبالغ التي جمعوها لبناء مسجدهم. (م)

## اليوم الثالث

في صبيحة اليوم الثالث حكينا للشيخ ما فعله بنا ذلك العجوز، وأبدينا أسفنا وحزننا الشديد عن هذا الموقف المهين.

حزن الشيخ عما حدث واعتذر منَّا شديدا وقال: بأن مثل هذه المواقف لاتتناسب مع روح الإسلام ومنهجيته في الدعوة وسموّه في الهدف، وقال: بأننا مع الأسف نعيش بعض الحالات المرضية في مجتمعاتنا نتيجة الجهل وعدم التربية الإسلامية الصحيحة، فإخواننا السنة عندما يذهبون إلى المدن الشيعية بزيهم الخاص يواجهون أمثال تلك المواقف الشنيعة، ويستهزئ الناس بهم وينادونهم بالسنة العمريين! [(١)].

أيا كان فقد اعتذر الشيخ من جميع أعضاء الفريق ولم يعط للمسألة اهتماما كبيرا، واعتبرها شيئا هينا لا ينبغي أن يحزننا كثيرا، وبعد الفطور أعلن عن استعداده إن كان عندنا أسئلة أو استفسارات.

وكنَّا قد سجلنا مسائل خلافية هامة هي مفهوم آية التطهير، والقول بعصمة الأئمة - عليهم السلام -، وموضوع أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه كان خليفة رسول الله ﷺ بنص صريح من الله - عز وجل -، وما دار في غدير خم، وقضية استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام.

واتفقنا أن نطرح في هذه الجلسة قضية آية التطهير وما تعنيه.

وآية التطهير في سورة الأحزاب ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] [(٢)].

---

(١) نسبة إلى الخليفة الراشد والصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي يعتبر عند مبغضيه طاغية من الطواغيت!! (م).

(٢) يرى الشيعة بأن كلمة "أهل البيت" في هذه الآية لا تشمل إلا علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ولا تشمل زوجات الرسول ﷺ.

لكن أهل السنة يقولون بأن دائرة الآية أعم من هذا، فالأهل تعني الأسرة، ومواردها في القرآن الكريم تثبت ما يراه أهل السنة، فمثلا لم يكن مع سيدنا موسى عليه السلام في جبل الطور صهر ولا حفيد، لكنه لما خاطب

طلبنا منه أن يفسر لنا آية التطهير التي تعد من مواطن الخلاف بين الشيعة والسنة، فقال الشيخ: بأن زوجات الرسول ﷺ من أهل بيت الرسول لا محالة.

وهنا طرح أحد العلماء من أعضاء الفريق سؤالا أحمقاً عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-، فبدأ الشيخ يشرح لنا الموضوع ببساطة ولين، وقال: بأن التاريخ يشهد على أن السيدة عائشة الصديقة كانت من زوجات الرسول ﷺ، وأن الله - عز وجل -قال في محكم تنزيله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴿٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦] فهي إحدى أمهات المؤمنين دون شك أو خلاف.

ثم بدأ الشيخ يقدم لنا شيئاً عن أسرة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ونسبها وكنَّا نستمع إليه في صمت وهدوء تام، وكأن على رؤوسنا الطير، فقال الشيخ: السيدة عائشة بنت أبي بكر، كانت تكنى بالصديقة، وكان أبوها خليفة الرسول ﷺ، وأول أمير للمؤمنين من بعد الرسول ﷺ، وكان صاحب المصطفى عليه الصلاة والسلام في الغار، وقد سجل القرآن الكريم هذه المنقبة له ﴿ثَانِيَ

---

زوجته وأولاده لينتظروه حتى يرجع قال لهم: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [طه: ١٠]، فتخصيص كلمة "الأهل" للصهر والأحفاد فقط خطأ كبير.

والآية هنا في سورة الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴿٣٣﴾﴾ تعني زوجات الرسول ﷺ، ولا تعني أبداً أن أمهات المؤمنين ـ زوجات الرسول ﷺ ـ كن في حالة سيئة فلا تشملهم الآية.

والآية لا تحكي عن تطهيرهم عن الرجس والخبث، وإنما تحثهم ـ هذه الآية وما قبلها وما بعدها ـ على الفضائل والمعاني العالية والمفاهيم الجليلة التي تليق بمقامهم. وحتى نساء الأمة إن تبعن أمهات المؤمنين في تلك المعاني المشار إليها، وتزين بما أمرهن الله بها تشملهم هذه الآية الكريمة.

وهذا ما يستطيع أن يدركه أي إنسان بسيط إذا راجع القرآن ونظر إلى الآيات التي سبقت هذه الآية والتي تليها.

وقد أدخل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين في هذه الآية حديث الكساء الذي روته عائشة رضي الله عنها. ولمعرفة المزيد في هذا الموضوع ننصح القارئ بالرجوع إلى كتاب "آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة " للدكتور السيد عبد الهادي الحسيني.

﴿اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [(١)] وأما أمها فهي أم رومان، وتصل شجرة نسب أم المؤمنين إلى الرسول ﷺ في جدها الثامن:

فعائشة بنت أبي بكر ابن أبي قحافة عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب التيمي.

**وشجرة نسب الرسول ﷺ:**

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصي بن مرة بن كعب.

بعد فترة من زواج الرسول ﷺ من عائشة صرح لها المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله ﷺ: (رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي: هذه امرأتك فكشف عن وجهك الثوب فإذا هي أنت فقلت إن يك هذا من عند الله يمضه) [(٢)].

خطبت خولة السيدة عائشة الصديقة - رضي الله عنها - للنبي ﷺ، وهكذا ساقها الله - عز وجل - لتكون زوجة لرسوله ومصطفاه ﷺ.

ثم تحدث الشيخ عن علم عائشة - رضي الله عنها -، ومكانتها العلمية بين صحابة الرسول ﷺ وقال: بأنها تعد من أبرز علماء الصحابة، ومن أشهر الصحابة الذين حملوا رسالة الإسلام وعلم الرسول ﷺ إلى الأمة، وهي أعلم زوجات الرسول ﷺ وأعلم نساء الأمة على الإطلاق.

يقول الإمام الزهري رحمه الله عن أم المؤمنين: (لو جمع علم عائشة لفاق علم سائر أمهات المؤمنين وعلم النساء كلهن) [(٣)].

(١) ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] (م)

(٢) رواه البخاري.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٨/ ١٨.

ثم تحدث الشيخ عن مكانة عائشة عند الرسول ﷺ، وقال بأن الرسول ﷺ كان يحبها ويحترمها وكانت هي أحب زوجات الرسول ﷺ إليه، وروى لنا هذا الحديث: (**سئل الرسول ﷺ، من أحب الناس إليه فقال ﷺ: عائشة فقيل: ومن الرجال؟ فقال: أبوها**) (١).

تحدث الشيخ أكثر من ساعتين في تفسير آية التطهير وفي موضوع أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -، ولاسيما عائشة - رضي الله عنها -.

لا يستطيع قلمي المتواضع أن يصور مدى إتقان الشيخ تفسير آية التطهير والآيات التي تدور في نفس المعاني والنصوص التي وردت في هذا الباب. فقد كان الشيخ ملما بالموضوع بشكل قوي جدا، واستطاع أن يطرح المسألة بشكل علمي مما جعله يتطرق إلى مواضيع كثيرة.

كنا قد اتفقنا مع بعضنا ألا نتجاوز في هذه الجلسة آية التطهير، لكننا شعرنا بانهيار نفسي شديد، أمام ما نحن فيه من قوة الاستدلال وثراء البحث العلمي، فلم نستطع أن نصبر على هذا الموقف وطرحنا كل ما كان لدينا من الأسئلة والشبهات.

سألته أنا عن إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقلت بأن علياً كان هو المنصوص بالخلافة لكن الخلفاء الثلاثة تجاهلوا أمر النبي ﷺ ووصيته واغتصبوا حق علي عليه السلام في الخلافة!

فردَّ الشيخ بكل حزم وإيمان: أية وصية وأي خلاف وأي اغتصاب تعنيه؟!..

فقلت له بأن الرسول ﷺ رفع يد علي عليه السلام في جمع غفير من أصحابه في منطقة غدير خم وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه...

فرد الشيخ قائلا: طيب، وماذا تفهمون من كلمة "المولى"؟

قلت: "المولى" تعني "الخليفة".

ثم سمى الشيخ عدداً من المعاجم وأخبرنا بالمعاني المختلفة التي وردت للكلمة فيها، ثم أضاف: إذا كان الرسول ﷺ يريد أن يعين علياً خليفة من بعده، فلماذا استعمل كلمة لها كل هذه المعاني والمدلولات ولم يوضح الأمر للناس كما ينبغي وجعلهم في حيرة من أمرهم؟!

---

(١) رواه البخاري.

لماذا استعمل كلمة "المولى" وهو كان يعرف جيداً أن للكلمة كل هذه المعاني والدلالات المختلفة؟ ولماذا لم يقل بكل بساطة وصراحة وهو أفصح العرب: يا أيها الناس من كنت رسوله فهذا علي خليفتي ووليي من بعدي؟

لم يبق لي ما أقوله بعد هذا الاستدلال القوي والمنطقي الذي يجعل كل عاقل يراجع نفسه في ظله، حاول أصحابي بما يحفظونه من الأدلة والبراهين الواردة في الكتب الشيعية أن يثبتوا صدق المذهب الشيعي، وأنه هو المذهب الحق دون غيره.

لكن كل الأدلة والبراهين التي كان يقدمها أصحابي لم تكن تخرج من الاستدلالات المتفلسفة ومن المصادر الشيعية، وكان رد الشيخ عليها بأنها استدلالات الشيعية تعارض القرآن الكريم والآية الفلانية، وكان يطالبنا بالرجوع إلى القرآن الكريم.

طرحنا قضية ردة الصحابة بعد الرسولﷺ، إحدى المواضيع المهمة في المعتقدات الشيعية[1]، فرد عليه الشيخ بالأدلة والبراهين القوية رداً حاسماً، أورد شيئاً مما قاله هنا:

سأل الشيخ رئيسنا السيد فاطمي: لو سمحت هل يمكن أن تتكرم وتخبرني عن نسبة النجاح في الحوزة العلمية عندكم؟

فقال السيد فاطمي: بين ثمان وتسعين وسبع وتسعين بالمائة (٩٧ ـ ٩٨٪).

فرفع الشيخ يديه وقال: حمدا لك يا رب، ما أحلمك! يزعم هؤلاء القوم بأن نسبة النجاح عندهم في مدرستهم مع كل ما عندهم من الفسق والفجور والذنوب والمعاصي والنقص بين ٩٧ إلى ٩٨٪، في حين أن نسبة النجاح في مدرسة الرسولﷺ وهو المعصوم الذي يوحى إليه لم تتجاوز خمسة إلى ستة أشخاص من جمع تجاوز مئة ألف صحابي!!

(١) يعتقد الشيعة بأن صحابة الرسولﷺ ارتدوا بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام، إلا خمسة منهم، ويتجاهلون كل الآيات القرآنية التي تصف الصحابة وبالأخص السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، والذين رضي الله عنهم بشهادة القرآن الكريم، وأصبحنا والشيعة كذلك نتلو الآيات التي تذكر مناقبهم وتحكي حب الله عز وجل ورضائه عنهم في صلواتنا إلى يوم الدين!! وقد عالج الأستاذ محمد باقر سجودي ممن من الله عليهم بنعمة الهداية هذه القضية في كتابه الرائع "تضاد في العقيدة" ننصح بقراءته وهو بالفارسية، وترجم للعربية وسيطبع قريباً إن شاء الله. (م)

ثم قال: بالله عليكم، يا أيها الناس، هل تستطيع عقولكم أن تصدق ما تتفوه به ألسنتكم؟ أليست هذه إهانة للرسولﷺ، وطعناً في أسلوبه الدعوي والتربوي؟ ألا يعد هذا نقصاً وعيباً في شخصية الرسولﷺ ومنهجه التربوي وبرنامجه الدعوي، إذ لم يستطع يربي تلامذته على الثبات في عقيدتهم؟ فارتدوا ـ كما تزعمون ـ أول ما سمعوا بوفاة الرسولﷺ طمعاً في شيء من متاع الدنيا.

أي عقل سليم يستطيع أن يصدق ما تقولونه من أنهم ارتدوا من أجل الدنيا، وهم الذين قدَّموا أموالهم وأرواحهم ونساءهم وأولادهم ومناصبهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية ووظائفهم ورتبهم من أجل هذا الدين ولرفع كلمة الله – عز وجل –خفاقة على العالمين.

هم الذين رفعوا هذا الدين على أكتافهم وتحملوا في سبيله كل المصائب والمحن وفدوه بكل غال وثمين كانوا يملكونه.

يا ليت شعري، لماذا لا يرجع الذين يطعنون في الصحابة ويشتمونهم ويفترون عليهم إلى عقولهم، ولماذا لا يفكرون قليلا فيما يقولونه؟ فوالله لو فكروا قليلا و راجعوا أنفسهم فيما يقولونه لأدركوا الحق ولاستحيوا من أنفسهم.

أولا يقرؤون القرآن الكريم وهو يصرح فيهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [1]، فهل كان الله – عز وجل –قد رضي عنهم يومذاك ليدخلهم نار جهنم بعد ذلك؟! أليس هذا طعنا في ذات الله – عز وجل –ونقصا فيه؟!

أو لم يكن الله – عز وجل – يعرف ما سيحدثه هؤلاء، فأعلن بأنه رضي عنهم وبشرهم بالجنة؟ فهل تؤمنون بأن علم الله قاصر عن معرفة المستقبل؟!

وإذا كنتم تؤمنون بأن الله – عز وجل – يعلم الغيب وكان يعلم بأن هؤلاء القوم سيرتدون وأنهم يخونون رسولهم ويكفرون بدينه فلماذا قال فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فيا ترى، كيف يفسر من ينصب نفسه من شيعة أهل بيت الرسولﷺ هذه الآية؟ وماذا يقول علماء الشيعة في هذه الآية؟ وماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠][1].

هل تكذّبون هذا الكلام؟ ألم يكن المهاجرون مع الرسولﷺ إلى آخر عمره أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف و...

---

(١) وماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩] وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨-٩] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤] وغيرها من الآيات... (م).

لم يمض من هذا النقاش الجاد وهذا البحث الدقيق إلا ساعتين، وقد شعرنا بأننا فقدنا كل شيء، بل شعرنا بأننا لم نكن نملك أي شيئا، فلا أساس لعقيدتنا ولا أصل لمفاهيمنا واعتقاداتنا، فكل ما نؤمن به وما نعتقده وما ورثناه ليس إلا أباطيل صنعها المغرضون والحاقدون على الإسلام، وورثناه نحن عن جهل!

كنَّا نعترف فيما بيننا بأننا انهزمنا، فلم يكن أمامنا إلا أن نعود، فأرسلنا السيد الحسيني إلى مكتب المرشد العام ليحضر سيارة من هناك فنرجع من مهمتنا، ورضينا من الغنية بالإياب!

مساء ذلك اليوم، وبعد مهمة دامت ثلاثة أيام رجعنا إلى مكتب المرشد العام.

ولعل من أبرز الحقائق التي كنا نرددها فيما بيننا، وكانت قد تجلت لنا في حديثنا مع الشيخ كانت هذه النقاط:

تفسير آية التطهير، والجو العلمي والروحي الذي كان مسيطرا على الجلسة

الحقائق القرآنية والدينية والعقدية التي كنا نجهلها

إتقان الشيخ وعلمه الغزير بالآيات القرآنية والمفاهيم الدينية

صدقه في الحديث عن المسائل العقدية وعدم مجاملته لأحد فينا

مواقفه العلمية والروحية العالية

ثباته ووقاره مع زهده وتقواه

شخصيته العلمية وحبه العميق واحترامه الجم للرموز الدينية، ولاسيما أهل بيت الرسولﷺ علي وفاطمة و الحسن والحسين – عليهم السلام –...

رجعنا إلى قم ورفعنا تقريراً مفصلا عن رحلتنا هذه، مع مجموعة من الأشرطة والمقاطع الصوتية التي سجلناها إلى إدارة الحوزة العلمية، واعترفنا بهزيمتنا في هذه الرحلة، وحكينا لهم تفاصيل ما حصل لنا.

لم يكن من مسؤولي البرنامج ومن خطط له إلا أن قالوا كالعادة: بأن موطن الداء يكمن هنا، وأن المسألة ترجع إلى الأحقاد والضغائن التاريخية التي تغلي في صدور أهل السنة تجاه أهل بيت الرسولﷺ وأسرة أمير المؤمنين علي – عليهم السلام – !!

وقالوا بأن هذه الرحلة كانت تجريبية لأهداف خاصة، ومع أننا اعترفنا بهزيمتنا وأن الرحلة لم تعط ثمارها التي كنا نتوقعها، فإنهم اعتبروها رحلة ناجحة وقالوا: بأننا نضع ما وصلتم إليه من المسائل نصب أعيننا في وضع البرامج والمناهج التعليمية في الحوزة العلمية في قم، وأن رحلتكم هذه سوف تكون نبراساً أمام المسؤولين لوضع البرامج القادمة والخطط المستقبلية.

لكننا كنا نشعر بأن هذه الكلمات ليست إلا نوعاً من المجاملات، يحاولون بها إعادة الثقة إلينا، ورفع آثار الهزيمة النفسية عن قلوبنا، ونوعاً من التسلية لنا.

وليرفعوا عن قلوبنا بعض ما نعانيه دفعوا لنا جوائز تشجيعية، فدفعوا لي خمسين ألف تومان على إنجازاتي الكبيرة في هذا السفر!!

نحن أدينا الواجب ورفعنا تقريرنا المفصل للإدارة، وحاولت الإدارة أن تغطي على الحقيقة وتصور هزيمتنا نصراً، لعلها تستطيع أن تمسح عنا بعض آثار الهزيمة النفسية التي كنا نعاني منها، لكن كلامهم ومجاملاتهم ما كانت تؤثر فينا أبدا.

كان تقريرنا في صمته يضع اللوم على عاتق إدارة الحوزة العلمية في قم، ويحاسبهم على ضعف مناهجهم وعلى هشاشة خططهم.

صوّرت الإدارة هذه الرحلة على أنها كانت رحلة استخباراتية، كشفت عن مواضع ضعف شديدة في الشيخ، ولم يعتبروها دراسة علمية ولا مناظرات أو مناقشات يمكن الالتفات إليها.

وعن القضايا العقدية وضعوا اللوم على عاتق إدارة الحوزة العلمية، التي زعموا أنها هي المسؤولة عن هذه الهزيمة إذ أنها بعثت مجموعة من الطلاب الصغار!! ممن ليست لهم أية تجارب ميدانية لمواجهة مثل هذه المواقف، ولا يستطيعون أن يجابهوا مثل هذه المسائل الخلافية والعقدية، فكانوا سبباً ليطعن الأعداء في الرموز الدينية، ولاسيما أهل بيت الرسول ﷺ، وأنهم هم المسؤولون عن الآثار السلبية التي تحدثها مثل هذه البرامج الفاشلة والخطط الضعيفة، التي تمهد بها لمؤتمرات تقريب المذاهب وللشعارات الوحدوية مع أعداء أهل البيت!!

كنا قد قدمنا تقريرنا المفصل وتفسيراتنا عن الرحلة إلى إدارة الحوزة العلمية في قم، وإلى من خطط للبرنامج وأرسلنا إلى هذه المهمة.

لكنني وصلت ـ إضافة على ما قلناه هناك ـ إلى أن مثل هذه البرامج لن تستطيع أن تجمع بين السنة والشيعة في قالب واحد، بل إنها سوف تجعل الشيعة يبتعدون شيئاً فشيئاً عن العالم الإسلامي، لينعزلوا في زاوية صغيرة بعيدة عن جسد الأمة وروحها.

وإنني كلما أعيد النظر إلى هذه الرحلة، أزداد إيماناً إلى أن هزيمتنا فيها كانت مشيئة ربانية، أرادت أن نرجع إلى قم خائبين خاسرين، لتكون هذه نواة أساسية تنمو في ضميري، فتثمر بعد حين عن عقيدة سليمة أعتنقها وأعتز بها.

فقد ظلت خواطر هذه الرحلة المباركة تدك في ضميري الهائج كالمطرقة، وتحرضني على إعادة البحث والنظر فيما كنت أعتقده في مذهبي الشيعي، إلى أن وصلت إلى الحق الذي كنت أحاول تجاهله، وشيئاً فشيئاً وصلت إلى أن العقيدة السليمة هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

نهايتها وصلت إلى شاطئ الأمان واعتنقت الحقيقة طائعا مختارا، وكنت أعرف جيدا ما سوف ينتظرني من البلاء والعقاب، نتيجة هذا التمرد الصريح على دين الآباء والأجداد!!

# السفر إلى بيت الله

بعد ما رجعت من رحلتي إلى بلوشستان، كنت أشعر بحنين شديد إلى السفر إلى حج بيت الله - عز وجل -

تهيأت لي أسباب السفر واحدة تلو أخرى، وفي النهاية سافرت إلى مكة المكرمة لأداء شعيرة الحج إلى بيت الله الحرام

التقيت في مكة بأناس قطعوا صلتهم بالدنيا كلها.

كانوا رموزا في التوحيد يجب أن يضرب بهم المثل في الإيمان الصادق.

ثم انتقلت إلى المدينة المنورة وكنت أحضر محاضرات مشايخها، وصلت من خلالها أن هؤلاء القوم لا يعبدون إلا الله ولا يرجون سواه، وقد وهبوا أنفسهم لعبادة الله - عز وجل -وطاعته.

أدركت في ظلال ما سمعته منهم معنى قوله تعالى "إياك نعبد وإياك نستعين".

لما تشرفت بزيارة الروضة المطهرة وسلمت على النبي الكريمﷺ، رأيت كيف يحاول الشيعة أن يبتعدوا عن قبور سيدنا أبي بكر ﵁، وسيدنا عمر ﵁، ويحاولون ألا تقع عيونهم على قبور صاحبي الرسول! قلوب تفيض حسدا وكرها، وصدور ملأت ضغينة وحقدا.

تعرفت على جوانب عديدة من شخصية أم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها - من محاضرة لأحد العلماء المشهورين في بلاد الحجاز.

عرفت بأن التهم التي وجهت إلى عائشة الصديقة - رضي الله عنها -، كانت مكرا دبرها بليل بهيم مجموعة من أعداء الإسلام للطعن في هذا الدين من خلال الطعن في أسرة الرسولﷺ.

كان المنافقون يظنون أنهم يستطيعون أن يطعنوا في قلب الإسلام بحادثة الإفك المشهورة.

وحقا لو لا أن الله تدارك هذا الأمر ونصر المسلمين فيها، ولو لا صبر المؤمنين وحلمهم وتقواهم وحسن تربية الرسول ﷺ إياهم لكانت تحدث في الصف الإسلامي فتنة عظيمة ما كان يعلم مداها إلا الله.

في تلك الظروف الطاغية وتلك الإشاعات الخبيثة استطاع المسلمون أن يتمالكوا أنفسهم في حلم وثبات وصبر عميق، ويدرسوا الواقع دراسة موضوعية للكشف عن الأيادي الآثمة التي كانت تلعب وراء الكواليس.

جعل الله هذه الواقعة تنتهي بنفع المؤمنين بعد أن كادت تصبح فتنة تعرقل الصف الإسلامي.

قد كانت فيها حكم ودروس يجدر بي أن أشير إلى شيء منها:

١) كانت هذه الحادثة امتحاناً للمؤمنين الذين، تربوا في ظلها وصقلت أخلاقهم، وأدركوا كيف يجب أن يتعاملوا في مثل هذه الظروف الحرجة، وفهموا مكانة المؤمن في الإسلام وأن أعراض المسلمين لا ينبغي أن تكون عرضة للتطاول والإهانة، وأن الكلمة لها وزنها في ديننا وأن اللسان قد يجر صاحبه إلى الضلال المبين ويكبه في النار.

لم يقع في هذه المكيدة وهذا الشراك الذي نصبه المنافقون إلا ثلاثة من المؤمنين فقط![١]

٢) كانت هذه الحادثة سبباً في أن يشرع للمسلمين عددا من الأحكام والقوانين الاجتماعية.

تلك الأحكام والقواعد التي لو التزم بها المسلمون لصفت مجتمعاتهم من ألوان من الفساد الاجتماعية والمنكرات الأخلاقية، وكثير من الفتن والاختلافات.

٣) أدرك المسلمون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، فلو علم الغيب لأعلن براءة زوجته وطهارتها مما يطعنها به المنافقون في أول الأمر.

٤) وأدركوا بأن كل ما ينطق به الرسول ﷺ إنما يأتي به من عند الله – عز وجل –، وإذا كان النبي ﷺ، وهو أفضل البشر وأحبهم وأعلاهم مكانة عند الله، لا يعلم الغيب فكيف يمكن أن يعلم علي أو أهل بيته – عليهم السلام – الغيب؟!

(١) هم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش. (م)

٥) ارتفعت مكانة أم المؤمنين عائشة وأسرتها في عين المؤمنين وتضاعفت مناقبها، إذ سجل القرآن حكايتها فنزلت فيها آيات من سورة النور يتلوها المؤمنون إلى يوم القيامة ويشهدون بطهارتها وعفتها وحيائها.

أصبح احترام الرسولﷺ وأزواجه المطهرات، أمهات المؤمنين، رمزا وواجبا وشعارا للمسلمين إلى يوم القيامة.

٦) ومن أهم الموارد التي يجب أن نشير إليها هي موقف إجماع المسلمين صحابة الرسولﷺ، من هذه الواقعة إذ وقفوا جميعاً صفاً واحداً أمام تلك الإشاعات المغرضة، وتلك الافتراءات الرخيصة التي كان يتفوه بها المنافقون.

وجاءت الآيات القرآنية توقع على صدق نواياهم، وتشهد على صحة مواقفهم، فكأن الآيات تحوي في أحشائها تزكية لهؤلاء الصحابة كذلك، إذ لم ينزلقوا مع المنزلقين[١].

## وقفة أخرى مع المحاضرة التي استمعت إليها في المدينة المنورة عن الإفك

في العام السادس الهجري وصلت الأخبار إلى النبيﷺ أن بني المصطلق بدؤوا يجمعون جيشا كبيرا ليغيروا على المسلمين على حين غرة منهم.

فأعلن الرسولﷺ الجهاد وأعد جيشاً من المسلمين ليطفئ نيران الفتنة في عقر دارها، وليلقن بني المصطلق بأن المسلمين ليسوا لقمة سهلة يطمع بها كل من هب ودب، وليكون درساً لغيرهم من الأعداء.

وكانت من عادة الرسولﷺ أن يُقرِع بين أزواجه، فمن خرجت القرعة باسمها خرجت مع الرسولﷺ.

---

(١) حكى الله عز وجل مقولة المؤمنين في الإفك في سورة النور / ١٦: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي: سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليلهﷺ. (م)

فخرجت القرعة هذه المرة باسم عائشة - رضي الله عنها -، فخرجت ترافق الرسولﷺ في هذه الرحلة إلى الجهاد.

وفي الرجوع إلى المدينة توقف الركب للراحة في مكان ما، وابتعدت عائشة عن رحلها لقضاء حاجتها؛ لكنها أضاعت عقداً لها وبقيت تبحث عنه، فتأخرت عن القافلة، ولما وصلت وجدت القافلة قد غادرت المكان فعرفت أنهم لم يكونوا يعرفون عن غيابها وأنهم عندما يدركون أنها ليست في رحلها سيبعثون ورائها، فجلست في مكانها وتغطت بخمارها تنتظرهم.

وكان من عادة الرسولﷺ دائماً أنه يبعث رجلا يتابع مسيرة القافلة، فإن كان أحد نسي شيئا أو سقط منه شيئا أحضره، وفي هذه الرحلة وكّلت هذه المهمة إلى الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي.

لما رجع صفوان إلى مكان القافلة شعر بوجود شيء هناك، ولما اقترب عرف بأنها امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قرَّب إليها ناقته وأناخها، ولم ينطق بشيء، وأركب عائشة على راحلته وأمسك بزمام ناقته وتابع مسير القافلة إلى أن وصلا إليها.

استغل المنافقون هذه الواقعة وبدؤوا يبثون سمومهم، وصنعوا حكاية الإفك.

فقالوا: رجل شاب وامرأة شابة! فرموا أم المؤمنين الصديقة والصحابي الجليل صفوان بالزنا.

في هذا الامتحان الصعب نجح المسلمون كلهم، ما عدا ثلاثة منهم، أما المجتمع الإسلامي الذي تربى على يد الرسولﷺ فبقي معتزا بأخلاقه، ولم ينطق بشيء من الطعن أو الافتراء أو القذف في المحصنات الغافلات، وإنما ظل يدافع عن عرض الرسولﷺ، ينتظر حكم الله عزوجل ورسوله.

ظل الامتحان الإلهي الصعب شهرا كاملا يمحص المجتمع الإسلامي و النفوس المؤمنة التي عاشت فترة حرجة مضطربة حزينة، إلى أن جاء الفرج ونزلت آيات البراءة في سورة النور، فانكشفت الغمة عن النفوس وانشرحت الصدور..

بعد ما يقارب شهرا كاملا قضاها المجتمع الإسلامي في تلك الحالة نزلت الآيات ١١ إلى ٢٦ من سورة النور تشهد ببراءة أم المؤمنين عائشة.

وبقى أناس من أحفاد عبد الله ابن أبي رئيس المنافقين وصاحب الإفك اللعين يثيرون الضغائن والافتراءات على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إلى اليوم، ويتطاولون بألسنتهم النجسة على مقام أمنَّا الطاهرة العفيفة.

ويعتبرون اسم أم المؤمنين عائشة شتيمة وقبحا لأنفسهم وينكرون هذه الآيات الصريحة من كلام الله - عز وجل -، ويجلبون لأنفسهم العذاب الإلهي الشديد واللعنة الأبدية!

ونحن ننتظر ذلك اليوم الذي تشهد ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم على كذبهم ثم يلقون في نار جهنم جزاء بما افتروه على الطاهرة الصديقة أم المؤمنين - رضي الله عنها -.

وهنا أورد الآيات التي نزلت في هذه الواقعة دون تعليق عليها، وأرجع الأمر إلى القارئ ليحكم بنفسه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ
امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ
وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ
تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ١١-٢٦].

ثم أضاف الخطيب وقال: يا من تزعمون بأنكم شيعة الرسول وشيعة أهل بيته، وتقذفون أم المؤمنين، زوجة الرسول الكريم وحميرائه - رضي الله عنها - بالزنا، وتفترون عليها الكبيرة والفحشاء، إذا كنتم صادقين فيما تزعمونه فيجب أن تجيبوا على هذين السؤالين:

١. هل كان الرسول ﷺ طاهرا أم لا؟ فإن كنتم تقولون بطهارة الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب أن تقروا بطهارة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -.

وذلك لأن التاريخ يشهد وأنتم كذلك لا تستطيعون إنكاره، بأنها كانت زوجة الرسول ﷺ وظلت في عصمة المصطفى إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فطهارتها وعفتها ترجع إلى طهارة الرسول وعفته لأنها كانت عرض الرسول ﷺ.

٢. وإن كنتم تزعمون ـ والعياذ بالله ـ أنها لم تكن طاهرة، فكيف تواجهون كلام الله - عز وجل -؟ فما تقولونه لا يخرج عن أمرين، إما أن تنكروا تلك الآيات الصريحة من كلام الله - عز وجل -، وإما أن تنكروا طهارة المصطفى ﷺ!

فإن قلتم بهذا أو بذاك لم يبق لكم من الإيمان حبة خردل، وتخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، فإن شروط الإيمان أن تصدقوا القرآن الكريم، وتخضعوا أمامه وأن تصرحوا بطهارة النبي الأكرم ﷺ وتعترفوا بطهارة زوجته الطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة الصديقة - رضي الله عنها -.

وها أنتم أحرار، اختاروا ما تشاؤون إما الإقرار والإيمان وإما الضلالة والعصيان...

بعد هذه المحاضرة العلمية القوية، قام أحد العلماء في المسجد النبوي وتحدّث عن فضائل ومناقب الخلفاء الراشدين، وبيّن بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة على أنهم كانوا أفضل

أصحاب الرسولﷺ، وأن الله – عز وجل –قد بشرهم بجنات عدن تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله على حسن إسلامهم وجميل مناقبهم وثباتهم.

إن هذه الرحلة التي كانت إلى حج بيت الله – عز وجل –كانت بالنسبة لي رحلة ممتعة ثرية حصلت على علم غزير فيها، وأزيلت من أمام عيني كثير من الشبهات وكثير من ستائر الحجب والتعصب الأعمى.

## السفر إلى سورية ومدينة السليمانية في العراق

تلك الرحلة التي قمت بها إلى بلوشستان أحدثت فيَّ انقلاباً عجيباً وزادتني عطشاً على عطش لمعرفة المزيد عن عقائد السنة ومعتقداتهم.

كنت أعيش توتراً نفسياً وفكرياً عجيباً.

أدقق في كل شيء، أحاول أن أدرسه من كل جوانبه قبل أن أعتنقه ولم أعد ذلك الإنسان العاطفي الذي يصدق كل شيء يقرؤه دون تمعن وتفكر.

بعد دراسة عميقة، ومراجعة ما حصلت عليه من الحقائق، وصلت إلى أنه لم يبق أمامي إلا أن أترك ما أنا فيه من المفاهيم الخاطئة والعقائد الكاذبة والضلالات وأنسلخ من مذهبي الشيعي، وأعتنق الحقائق الثابتة وألتحق بالركب السني الكبير المبارك.

هذه التغيرات الفكرية والعقدية وهذا التحول من إنسان خرافي، إلى إنسان موحد كان ولا بد أن يظهر آثاره في أخلاقي وتصرفاتي وتعاملي مع الناس والمجتمع، فما طرأ عليَّ من التغييرات جعلت أسرتي وأصدقائي وزملائي في الجامعة، وأساتذتي ولاسيما أعضاء اللجنة الدعوية في الجامعة يهتمون بما يظهر مني، ويتابعون كل حركاتي وسكناتي ليكشفوا ما يدور في خلجات قلبي وصدري.

كانت الامتحانات على الأبواب، ومع أنني كنت من الطلاب المتفوقين في الدراسة لم أعد أرغب في المذاكرة والاهتمام بالدراسة. كنت أعيش في أفكاري ومشاعري الخاصة.

كنت أتحرك في الجامعة وأروقتها وفصولها ومكتباتها بجسمي، لكن روحي كانت تطير في أجواء عالية من البحث عن الحقيقة الخافتة خارج الجامعة.

بعد فترة الامتحانات وتراجعي في الدراسة أدرك الأساتذة ما أعانيه من المشاكل والتوترات الروحية والانفصام في الشخصية.

شعروا بأن شخصيتي بدأت تتغير، فلم أعد ذلك الطالب النشيط والمرح، أصبحت أحبذ العزلة والابتعاد عن الناس.

شعروا بشيء ما يدور في داخلي من التوتر والاضطر اب، فاتصلوا بأسرتي وأخبروهم بما أعانيه من الاضطر ابات النفسية حرصاً منهم أن يصلوا إلى حل لهذه المشكلة.

وبما أن اهتماماتي لم تكن تنحصر في الجامعة أو الدراسة، بل كانت تدور خارج هذا النطاق الضيق في دائرة أوسع بكثير، فلم يستطع أساتذتي ولا أسرتي أن يصلوا إلى حل لها، ولم يستطيعوا أن يرشدوني إلى شيء.

في هذه الأجواء المتوترة، وهذه الاضطرابات الروحية سنحت لي الفرصة للسفر إلى سورية برفقة قافلة الزائرين للأماكن المقدسة، فقررت السفر إلى هناك عسى أن أجد شيئاً أكثر مما أبحث عنه في كل مكان، على رغم أن موعد امتحانات نهاية الفصل كان قد اقتربت ودرجاتي في امتحانات منتصف الفصل لم تكن جيدة.

## السفر إلى سورية

لا أدري كيف رتبت الأمور ومن أين جاءت الفكرة، كل ما أذكره هو أن الأسرة قررت أن أرافق جدتي ـ والدة والدي ـ في سفرها إلى زيارة الأماكن المقدسة، وزيارة المرقد المطهر للسيدة زينب عليها السلام، فرحت بهذا الأمر جدا وشعرت بأن هذه الرحلة تنفعني من جهتين:

الأولى: الابتعاد عن جو الجامعة والدراسة – ولو لفترة قصيرة – لعلي أستطيع أن أرتاح نفسياً في ابتعادي عن رؤية تلك النظرات المريبة وتلك الوجوه الكالحة وتلك الأجواء القاتمة!

والثانية: أنني أجد فرصة أخرى ـ ولو قصيرة ـ لآخذ فيها نفساً آخر في البحث عن أصول المذهب السني ومعرفة جوانب أخرى من مسائله الاعتقادية، وأن هذا السفر إلى سورية سوف يفتح لي آفاقا معرفية أخرى أستطيع من خلالها أن أستزيد بحثاً وتحقيقاً فيما أنا بصدده.

كان من حسن حظي كذلك أن صديقي الحميم "علي رضا محمدي – رحمه الله –" كان يرافقنا في هذا السفر.

في أول ليلة لنا في هذا البلد حدثت لي حكاية لم تكن مهمة، لكنها كانت لطيفة بالنسبة لي وهي: وجدنا مجموعة من النساء الإيرانيات في إحدى المحلات الراقية في المدينة يتشاجرن مع صاحب دكان، ويبدو أنهن اشترين شيئا لم يعجبهن ثم أردن إرجاعه، فتدخلنا نحن وحللنا المشكلة.

هذه الحكاية البسيطة أصبحت سبباً في أن نعقد نوعاً من الصداقة مع صاحب المحل الذي أعجب بنا.

ولابد أن أشير هنا، بما أنني ـ أنا وصاحبي علي رضا محمدي –رحمه الله ـ كنَّا من العلماء وضعونا على رأس هرم المسؤوليات في القافلة، فكان ولابد أن نشترك في كل المحاضرات والمجالس المذهبية والبرامج المعدة حتى نشير إلى الزوار بما ينبغي عليهم.

فأي تأخير في هذه البرامج أو أي تكاسل منَّا كان يسبب غضب المشاركين والزوار ولاسيما جدتي التي ما كانت تستطيع أن تتحمل أي تقصير منَّا في هذه الجوانب العبادية!

استطعنا من خلال صديقنا الجديد ـ صاحب المحل ـ أن نتعرف على أحد مشايخ السنة هناك، قلنا له بأننا كنا من الشيعة وقد هدانا الله – عز وجل –إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وحضرنا هنا لا لشيء، وإنما لمزيد البحث والدراسة؛ لكن الشيخ عبد الله لم يصدقنا، ونحن كذلك لم نكن نتنازل عن موقفنا.

عدنا إليه مرة تلو أخرى نحاول أن نقنعه لكن دون جدوى، حتى اضطررنا أن نضع أيدينا على المصحف ونحلف له على صدقنا.

كل هذا لم يغير موقف الشيخ عبدالله تجاهنا، بل قال: الشيعة لا يؤمنون بالقرآن، فكيف لي أن أصدقكم؟!

لكننا لم نكن نستطع أن ننكر عليه ذلك، ولا أن نتنازل عن موقفنا، حتى استطعنا في النهاية أن نقنعه إلى حد ما، وظللنا نتردد عليه في تلك الأيام القليلة التي كنا هناك، نناقشه فيما يطرأ علينا من الشبهات والمشاكل.

كان الرجل بحرا في العلم لا ساحل له، وآية في القرآن حفظا ومدارسة وبحثاً لم نجد له مثيلا إلا الشيخ الذي تشرفنا بزيارته في بلوشستان.

مع أن الشيخ عبد الله كان عربياً، لكنه كان يجيد اللغة الفارسية جيدا.

قال لنا: بأنه قضى سنتين من عمره في السجون الإيرانية، وذلك بسبب مواقف له مع علماء الشيعة ومناظراته لهم.

وقال بأن الاستخبارات الإيرانية حاولت اغتياله، لكن محاولتهم باءت بالفشل ولم تصبه رصاصاتهم والحمد لله رب العالمين.

كنَّا نستمتع بالحديث مع الشيخ عبدالله، وانشغلنا به عن سائر برامجنا في ذلك الأسبوع، ولم نكن نرغب في المشاركة في البرامج المعدة من قبل إدارة القافلة، كزيارة القبور وما إلى ذلك، بل أصبحنا نكره المشاركة فيها.

تفاجئت بأن مسؤولي القافلة اختاروني لقراءة دعاء كميل على مرقد "السيدة زينب عليها السلام" وقد كنا وصلنا من خلال دراستنا في مذهب أهل السنة أن الإستعانة يجب أن تكون من الله – عز وجل –، ولا ينبغي للمسلم أن يسأل غير الله عن حاجاته ويدعو غيره سبحانه وتعالى، وأن السؤال عن الأشخاص والرموز الدينية مهما علا شأنهم خلاف للشرع المبين، وباب يجر إلى الشرك.

فلم يكن لي أن أشارك في هذا البرنامج، فاعتذرت عن قراءة دعاء كميل هناك.

هذه الأيام القلائل التي قضيناها في سورية ومجالسنا ومناظراتنا مع الشيخ عبد الله أحدثت فينا ثورة روحية وتحولا عقديا لم نجده في أنفسنا قبل ذلك، فقد تغير كل ما كنَّا نعتقده رأسا على عقب، وكأننا أصبحنا أناساً آخرين.

## السفر إلى كردستان (مدينة سنندج الإيرانية ومدينة السليمانية العراقية)

بعدما رجعنا من سورية اتفقت مع صاحبي علي رضا محمدي – رحمه الله –أن نخرج إلى سفر آخر عن طريق كردستان (مدينة سنندج) إلى مدينة السليمانية في العراق.

كانت الامتحانات قد اقتربت وكاد الفصل الدراسي أن ينتهي، لكننا كنَّا نعيش في أجواء غير أجواء الدرس والجامعة والامتحانات.

سافرنا إلى "سنندج" ومن هناك إلى منطقة "مريوان" لكن مع الأسف سرق ما كنا نحمله من المال لنتزود به في سفرنا هذا، فاضطررنا أن نعود إلى طهران، ففشلت هذه المحاولة.

بعد ما أكملنا الاختبارات، عدنا نفكر في السفر إلى مدينة "السليمانية".

استطعنا أن نذهب إلى سنندج ومن هناك إلى "مريوان" وندخل "السليمانية"في العراق عن طريق التهريب ـ الحدود غير الرسمية ـ.

كانت مدينة "السليمانية" من أهم مراكز منظمة "مجاهدي خلق" المعارضة للحكومة الإيرانية، فبمجرد وصولنا إلى هناك استطاعوا أن يكشفوا أمرنا، ورحبوا بنا كطلاب هربنا من بطش السلطة الإيرانية وطلبوا منَّا أن ننضم إلى جماعتهم. لكننا كنَّا نحمل مبادئ أخرى، ونبحث عن شيء آخر غير ما يبحثون هم عنه، وكان طريقنا وأهدافنا غير طريقهم وأهدافهم، فاعتذرنا منهم ورفضنا كل ما اقترحوه علينا.

تعرفنا في أيام وجيزة على بعض علماء السنة الإيرانيين ممن هاجروا إلى هناك أمثال: "الشيخ إبراهيم" و"الشيخ عبد القادر" وقد كانوا في بداية أمرهم يرفضون اللقاء بنا، والاستماع إلينا، لكننا كنَّا نتشبث بهم ونصر على مواقفنا، وفي النهاية بعد الحلف والقسم استطعنا أن نقنعهم إلى حد ما، فقد كانوا يرفضون أن يتحدثوا عن المسائل العقدية في مذهب أهل السنة والجماعة.

قضينا أربعة أيام حافلة بالبحث العلمي والدراسة الجادة والمناقشات الثرية والمفيدة مع هؤلاء الكِرَام، ولم يبق أمامنا أية شبهة، لذا اقتنعنا أننا كنَّا على ضلال مبين، وأن الحق هو ما يعتقده هؤلاء الناس، وأنه يجب أن نرمي تلك الأوهام والأفكار التي ملأت عقولنا وقلوبنا، وظننا بأنها هي العقيدة السليمة والدين المبين! وأن نعتنق العقيدة الجديدة، عقيدة أهل السنة والجماعة.

رجعنا إلى طهران وإلى الجامعة وأعلنا على الملأ دون خوف ولا وجل أننا أصبحنا من أهل السنة والجماعة، وأننا تبنا إلى الله – عز وجل –مما كنا نعتقده من الضلالات والأوهام!!

لا بد أن أذكر شيئا آخر وهو: في رجوعنا من العراق كنَّا في "مريوان" وكنَّا قد بتنا في إحدى القرى الحدودية، في منتصف الليل صرخ صاحبي علي رضا وقام من نومه مذعورا في حالة عجيبة،

وكان خائفاً مضطرباً يرتجف ويتصبب عرقاً، وقمت أنا كذلك خائفاً مستغرباً أسأله: ماذا حدث لك؟ بدأ يصرخ ويقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام!

فسألته مستغرباً: ماذا رأيت؟

فأجابني: رأيت رسول الله ﷺ، وكان جالساً في جمع من أصحابه، قال لهم: أخبروا حبيبي ليحضر عندي.

رأيت بعد قليل "الشيخ"(١) ومن شدة الحيرة شعرت وكأنه أغمي علي، ولما عدت إلى حالي رأيت رسول الله ﷺ قدَّم مصحفاً وقلماً ودفتراً للشيخ وانصرف، فتبعته وقلت له: يا رسول الله ﷺ، هل أنا من أمتك؟

غضب رسول الله ﷺ وصرخ في وجهي غاضباً: ليست الشيعة من أمتي!

بعد هذا المنام، في تلك الليلة البهية زدنا إيماناً على أننا كنَّا على باطل، وعاهدنا ربنا على الرجوع عن ما كنا فيه، وعلى التمسك بحبل الله المتين ودينه القويم مذهب أهل السنة والجماعة المبين، ومن ذلك اليوم بدأنا نؤدي صلواتنا على طريقة أهل السنة والجماعة...

في طهران شعر الناس بما طرأ علينا من التحولات والتغييرات في حركاتنا وسكناتنا و كلامنا. بدأنا نستقبل ألوانا من سوء التعامل والضغط من اللجنة الدعوية في الجامعة، كانت كلها بمثابة ردود أفعال على مواقفنا.

بدأ الأساتذة والطلاب في الجامعة يسخرون منَّا ويحتقروننا، ويسمعوننا بعض طعنهم وشتائمهم: السني.. الوهابي.. أعداء أهل البيت و...

لا يستطيع قلمي أن يصور ما كنا نعانيه من الضغوط النفسية في تلك الأجواء.

---

(١) أي الشيخ الذي ذهبوا إليه في بلوشستان وهو الشيخ محمد عمر سربازي المعروف بشيخ الجبال، شيخ كبير يقارب الثمانين من عمره، من خريجي جامعة الديوبند بالهند، وله مؤلفات كثيرة.

هذا ما وصلت إليه من خلال تتبعي لسيرة المؤلف، من بعض الإخوة البلوش الذين ساعدوا الشهيد مرتضى رادمهر ـ المؤلف ـ في باكستان، وكان مقيماً عندهم. (م)

نبذنا المجتمع وأصبحنا وحيدين نعيش في عالم كبير يكرهنا إلى جذوره عسى أن يخلعنا من جذورنا.

لم يكونوا يدركون أننا لم نصل إلى ما نحن فيه بين عشية أو ضحاها، وإنما وضعنا حياتنا وأرواحنا ثمنا لما وصلنا إليه من الحق، الذي وهبه إلينا البحث والدراسة في القرآن الكريم والتاريخ والعقل، ولم نعد نخاف في الله لومة لائم، ولا يمكن أن تزعزع أفكارنا وعقائدنا تلك الضغوط والمؤامرات.

كنَّا نستقبل كل تلك الضغوط وتلك الطعونات بقلوب راضية بما يقدره الله – عز وجل –، فنصبر على ذلك ونحتسب ونشعر برضى في قلوبنا وسعادة لا توصف.

بعدما إعلاننا عن عقيدتنا، حرَّضنا طلاب السنة الذين كانوا يدرسون في الجامعة، وكانوا قرابة خمسة عشر طالبا، وبدأنا نقيم صلاة الجماعة في الجامعة.

بلغ بنا الحماس والاعتزاز بما نحن عليه من الحق أن كتبنا في إحدى الأيام على السبورة " ليس التشيع إلا مذهب الخدعة والمكر والأوهام"!

وكتبنا تحته: "ورمز الإسلام ليس إلا العشق لسنة الرسول ﷺ، وطريقته ومنهجه في الحياة، ومذهب أهل السنة والجماعة يعني العمل بما جاء به الرسول ﷺ ".

مثل هذه المواقف العاطفية والحماسية منَّا خلق جواً متوتراً ومضطرباً في المجتمع الجامعي.

وصل الأمر بالإدارة أن أعلنت بأنها لن تسكت على هذه الحركات المشبوهة وأنها لا تستطيع أن تتحمل مثل هذه المواقف في الجامعة.

في هذه الأيام، وكنا نستعد لامتحانات نهاية الفصل الدراسي قررنا ـ أنا وصاحبي علي رضا محمدي – رحمه الله –ـ أن نسافر إلى مدينة "مشهد".

# السفر إلى مدينة " مشهد"

أردنا أن نبتعد عن الأجواء المضطربة والسيئة التي كانت مسيطرة على الجامعة في تلك الأيام، فقررنا السفر إلى "مشهد".

بعد يوم أو يومين من وصولنا إلى "مشهد" ذهبنا إلى مكان "مسجد شيخ فيض محمد"[1] لأهل السنة الذي خربته الحكومة وأقامت مكانه حديقة عامة للتنزه.

وجدنا هناك شاباً سنياً من منطقة "خواف" كان يلبس زي منطقته، ودون معرفة سابقة ودون مقدمات بدأنا نتحدث معه عن المسجد وعن أسباب تخريبه وعن نوايا الحكومة في القضاء على الأقلية السنية، وتذويبهم في المجتمع الشيعي.

كنَّا نشعر تجاه المسجد بحنين خاص وذلك لأننا ـ أنا وصاحبي علي رضا محمدي ـ كنَّا يوم أن خربوا المسجد طلاباً ندرس في حوزة "نواب صفوي" العلمية في "مشهد".

ورأينا بأم أعيننا كيف تجمعت الأقلية السنية في الشارع العام أمام بناية البنك المركزي في مشهد، وكانوا قد فرشوا عمائمهم على الشارع ليصلوا عليها، وكانوا يبكون بكاء المرأة الثكلى ويسكبون الدموع ويرفعون عويلهم إلى السماء على فقدان مسجدهم، لكن دون جدوى..

فقد كانت الجالية السنية في مشهد تعيش مأساة لم تعشها في تاريخها، فقد سلبوا منهم مركزهم العبادي الوحيد الذي كان يجمعهم وكانوا من خلاله يتعارفون، وفي رحابه يرفعون أكفهم إلى خالقهم يدعونه ويتضرعون أمامه..

---

(١) "مسجد شيخ فيض" كان المسجد الوحيد لأهل السنة في "مشهد" يرجع تاريخ بنائه إلى بضعة قرون، وكان المركز العبادي الوحيد الذي يجمع أهل السنة في هذه المدينة ويحفظهم من الضياع والذوبان في المجتمع الشيعي الكبير دمرته الحكومة في ٣/ ١/ ١٩٩٤م الموافق لـ ٢٣/ رجب/ ١٤١٤هـ.

خرجت الجالية يومذاك عن بكرة أبيها في الشوارع شبابا وشيوخا، صغارا وكبارا، يلبسون ملابس قديمة بالية كالأيتام على موائد اللئام!

كان أحد الطلاب من منطقة "تقي آباد" يقول: رأيت ذات يوم رجلا عجوزا يمشي متذللا مسكينا، يلبس ملابسا ممزقة، فتقدمت إليه وأردت أن أقدم له شيئاً من الطعام.

نظر العجوز إليَّ والدموع تنهمر من عينيه، فقال لي بصوت حزين خافت: يا بني، دمروا مسجدنا.. مسكت الحسرة حلقه فسكت لحظة ليصرخ بعدها: خربوا بيت الله ملأ الله بيوتهم وقلوبهم نارا.. وتريدني أن آكل الطعام.. لا طعام بعد اليوم، وما قيمة الحياة بعد بيت الله...

صورة العجوز وحالته الرثة كانت تجرح كل قلب فيه ذرة من الرحمة، كانت كافية لتجعل كل إنسان حر في قلبه ذرة إيمان أن يتفاعل معه..

بعد الحديث عن مسجد "شيخ فيض"مع ذلك الشاب ومراجعة تلك الأيام العصيبة والخواطر المؤلمة جر بنا الكلام إلى الحديث عن مكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، وأن كثيرا من الجهال ينسبون إليه الكثير من الكذب والخرافات، فيهينونه ويحرفون شخصيته دون أن يشعروا، ويقدمونه وكأنه أسطورة خرافية، لا محل له من الحقيقة وليس رجلا يمكن اتباعه...

ونحن نتحدث عن مناقب سيدنا علي ﵇ ومكانته في الإسلام، إذا برجل عجوز كان يجلس على مقربة منا ويلبس عمامة خضراء - ولعله كان ممن يزعم نفسه سيدا - ظنا منه أننا من السنة وأننا نطعن في مقام الإمام علي ﵇، رمانا بحجر كبير أصاب رأس علي رضا محمدي وجرحه جرحا عميقا وبدأ الدم يتدفق منه.

بعد هذا السفر الذي دام يومين رجعنا إلى طهران.

انهينا هذا الفصل الدراسي، ونجحنا فيه بدرجات لا بأس بها.

بعد خمسة أيام فقط طلبونا إلى اللجنة الدعوية، وطلبوا منَّا أن نقدم توضيحا كاملا عن أعمال الشغب التي ارتكبناها!!

كان هذا الموقف بداية الصراع المباشر وأحداث الفصل العاشر الجامعي..

# بداية الفصل الجديد والأحداث الجديدة..

عدنا من مدينة "مشهد" وبدأنا في إجراءات التسجيل في الجامعة، وبدأ الفصل الدراسي العاشر.

ذات يوم استدعيت أنا وصاحبي علي رضا محمدي إلى مكتب اللجنة الدعوية في الجامعة.

ذهبنا إلى مكتب اللجنة فوجدنا هناك رئيس اللجنة وأعضاء المجلس العلمي في الجامعة، وإمام مسجد الجامعة، وبعد الجلوس والتعارف والمجاملات المعروفة، وإذا برئيس اللجنة الدعوية يخاطبنا بشدة ويقول: اصدقوا، ولا تحاولوا إنكار الحقائق وتجاهل ما يجري في الجامعة، من الذي ضحك على عقولكم وحرف أفكاركم وسبب لنا هذه المشاكل والاضطر ابات في البيئة الجامعية ـ كان يقصد الشعارات التي كتبت على السبورة ـ اكشفوا عن حقيقة الأمر أمام الجميع؟

تحدث السيد "الحسيني" بإسهاب عن مسائل كثيرة ثم عاد ليكرر: احكوا لنا الحكاية كما حدثت، لعلنا نستطيع أن نحل المشكلة قبل أن تكبر وتصل إلى الأماكن الخطيرة ـ كان يقصد المخابرات ـ فنحن أولى أن نعرف مشاكلنا ونحلها دون أن تتدخل في شؤون الجامعة الجهات الثانية، فذلك لا يليق بالمجتمع الجامعي والعلمي.

كان المسؤولون يحاولون بالإشارة أو الكناية أن يظهروا لنا بأن قضية تغييرنا للمذهب وانتقالنا من التشيع إلى أهل السنة والجماعة لا يهمهم كثيرا، فالأمر يتعلق بنا، ولكنهم في دائرة واجبات اللجنة الدعوية لابد أن يعرفوا أسباب التوترات والاضطر ابات التي بدأت تفسد النظام في الجامعة، وكانوا يقولون بأنهم لا يتابعون القضية ولا يهمهم إلا من هذا الباب.

لكننا أدركنا الأمر جيدا، فلم تكن هناك أية اضطرابات ولا تشويش في المجتمع الجامعي، وكانت الأمور تجري على ما كانت، ولم نكن قد أحدثنا أية مشاكل بين الطلاب، ولم نثر أية اضطرابات ولا انقلابات طلابية.

كنا نشعر جيدا بأن مسؤولي اللجنة الدعوية وإدارة الجامعة حزنوا جدا على تحولنا من التشيع إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الأمر هو الذي يهمهم لا غير، وهذا هو الذي جعلهم يثورون بهذا الشكل ويحاولون لم شمله عسى أن يعيدونا إلى ما كنا فيه، لكننا أفهمناهم بأنه هيهات هيهات لما توعدون!!

مع هذا كله وضحنا للسيد "الحسيني" والحضور أننا لم نغير مذهبنا إلا بعد دراسة وبحث وبعد اعتقاد جازم، فليست هناك مؤامرات ولا أيادي خفية تخطط لتضليلنا وراء الكواليس، وإنما هي مشيئة الله وقدرته التي أدركتنا في ظلمات بعضها فوق بعض، وأخذت بأيدينا رحمة منه سبحانه وتعالى بنا، وهي التي حملتنا إلى نور الإيمان.

لكن السادة كانوا يحاولون تهديدنا ويقولون: انتبهوا، إذا لم تكشفوا حقيقة الأمر ولم تعترفوا بالحقائق والأيادي المجرمة فسوف تخرج الأمور من أيدينا وتنتقل المسألة إلى المخابرات، ثم لا نستطيع أن نفعل شيئا.

لم يرتح السادة بكلامنا، وفي نهاية الجلسة قدم رئيس اللجنة الدعوية قلماً وورقة إلى السيد علي رضا محمدي – رحمه الله –وقال له: اكتب بأننا أخطأنا ولن نعود إلى مثل هذه الأخطاء أبدا.

أخذ السيد محمدي الورق والقلم وكتب: لم نرتكب أي خطأ إلى الآن، اللهم إلا خطأ واحدا وهو أننا أصبحنا نعشق دين الله – عز وجل –، ونريد أن نكون من الموحدين لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين.

قدم الورقة إلى السيد الحسيني، فثار السيد الحسيني غضبا وحقدا أكثر من ذي قبل بعد قراءة الورقة، ثم قام وأخرجنا من مكتب اللجنة الدعوية.

بعد بضعة أيام من هذا الحديث، كنا نقف مع مجموعة من الزملاء في ساحة الجامعة، وإذا بسيارة من سيارات المخابرات المعروفة وقفت أمام الجامعة.

نزل منها رجلان دخلا الجامعة، ودون سؤال أو جواب أخذا بيدي وبيد السيد محمدي وأرادا أن يرغمانا على ركوب السيارة.

بدأنا نتشاجر معهم ونقاومهم، اعتبر الطلاب هذا الموقف إهانة للطلاب وللجامعة فتجمعوا حولنا وكادوا يتضاربون مع الجنود.

لكن الجنود اعتذروا وقالوا بأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم موظفون يجب أن يؤدوا ما أمروا به، وبعد نقاش طويل ركبنا معهم السيارة وذهبنا إلى المخابرات.

مما أفسد الجو الجامعي أكثر أن المخابرات سبق أن قبضوا على طالب سني من أهل "جرجان"(١) كان يسمى "محمد رضا موسايي"، وكان هو الطالب النموذجي المتفوق دائما في كلية الطب في الجامعة، كان زميلا لنا في الفصل العاشر، كان يؤدي صلواته معنا جماعة.

ويبدوا أنه نقل إلى المخابرات في نفس اليوم أو بعدنا بعدة أيام، أو قبلنا ببضعة أيام ـ لا أذكر جيدا..

أول ما وصلنا إلى المخابرات ربطوا أعيننا ونزعوا ملابسنا وألبسونا زي السجناء، ونقلوا كل واحد منا إلى سرداب فردي.

كان جو السجن مظلما ومخيفا جدا، أكثر بكثير مما كنا نتصوره.

بعد فترة شعرنا أنها كانت طويلة جدا، أخذونا إلى مكتب الرئيس أو شخص آخر كانوا ينادونه "الحاج".

بدأ "الحاج" يتحدث يمينا وشمالا ويحاول أن يذكرنا بما قمناه من الجرائم والخلافات ويقرأ على آذاننا الاتهامات التي اتهمنا بها، وأخيرا طلب منا أن نخبره بمن كان سببا في ضلالنا.

وبما أننا لم نكن نعرف سببا لهدايتنا غير المشيئة الإلهية ورحمته تعالى ربنا، قلنا له بأن الأمر أولا وأخيرا يرجع إلى الله – عز وجل –وإلى لطفه ورحمته بنا.

وأن انتقالنا من التشيع إلى مذهب أهل السنة ليس وراءه عامل أو سبب غير أننا درسنا الأمر بتمعن وتعقل مدة طويلة وناقشنا في الأمر أناسا كثيرين ودرسنا في الموضوع كتبا كثيرة إلى أن هدانا الله – عز وجل –للحق المبين...

لكنه كذّبنا فيما نقوله واعتبر كلامنا كله نوعا من الهروب عن الحقيقة.

---

(١) گرگان.

قال لنا في وقاحة وتبجح وتكبر لا توصف: أنا الآن قاضيكم، وأنا الآن ربكم ـ والعياذ بالله ـ إذا صدقتموني في الحديث أستطيع أن أساعدكم، في غير هذا أستطيع أن أفعل بكم ما أشاء، واعلموا أنني لن أرحمكم!

ما كان "الحاج" يتوقع أن أمامه يجلس رجل بشجاعة السيد محمدي، فتحدث المحمدي بكلام في غاية الشجاعة والرجولية ـ وكان حقا أفضل مني شجاعة بسالة لا يخاف في الله لومة لائم ـ غضب "الحاج" على علي رضا فثار في وجهه ولطمه لطمة شديدة، وبدأ يصرخ كالمجنون: أعرف كيف أخرج الحقيقة من حناجركم؟! هل تتصورون أننا جئنا بكم هنا للوليمة، أو لنقدم لكم الحلوى؟!

لما عجز الحاج أن يحصل منا على شيء، ووجد السيد محمدي يقاومه بهذه الصراحة والشجاعة حاول أن يجرب أسلوب اللطف والنصح والإرشاد، فقال في لين ولطف: يا أولادي، هل تعرفون من أنا؟ فقال السيد محمدي مباشرة: لا يهمني من حضرتك، كل ما يهمني أنني أحبك جدا! اقترب الحاج وهو يبتسم كالمنتصر إلى السيد محمدي وقال له في لين: أشكرك جدا يا ولدي، ولكن لماذا تحبني يا حبيبي؟ فقال السيد محمدي في شجاعة: لأنك رجل أحمق جدا!..

ثم بعد ضيافة مفصلة أعادونا مكسورين منهكين والدماء تنزف من أنوفنا ووجوهنا إلى زنازين انفرادية.

بعد ذلك كانوا يأخذوننا واحدا واحدا إلى التحقيق.

كان السجن عالما آخر، لا نهار فيه، فقد كان الجو ليلا أبدا، لا نعرف أوقات الصلاة ولا نرى بصيص نور من الشمس، فقد كنا نسمع أصوات بعضنا البعض ولا نرى شيئا.

بعد عشرة أيام لا ندري ماذا حدث، فإذا بهم ألبسونا ملابسنا وربطوا أعيننا ثم خرجوا بنا في سيارتهم، وعلى مقربة من الجامعة فتحوا أعيننا وتركونا وانصرفوا!

استدعينا في نفس اليوم إلى اللجنة الدعوية، وكان قد حضر هناك السيد آية الله وحيد الخراساني والوالد، فأول ما رآني أبي قام إلي وبدأ يضربني ويشتمني ويلومني على تصرفاتي.

فقال السيد محمدي للوالد: قد ضربوه بقدر الكفاية، وقد شبع ضربا وشتما، على الأقل حضرتك لا تضربه أكثر.

فثار الوالد في وجه السيد "محمدي" وبدأ يشتمه بألفاظ ركيكة وقال له: بأن الأمر لا يهمك.

بعد هذه الرحلة إلى مدرسة سيدنا يوسف عليه السلام، قررنا ألا نقوم بأية حركات حماسية مثيرة، ولابد أن ندرس أي عمل نقوم به مسبقاً لنعرف عواقبه وآثاره.

قررنا ألا نصرح بعقائدنا على الملأ وألا نقيم صلاة الجماعة في الجامعة، وألا نكتب الشعارات على السبورة وقد رجعت ـ كما كان يقول هؤلاء السادة ـ عقولنا، وأصبحنا ندرك الواقع.

وكنت أشعر بأن السبب الرئيسي وراء كل ما حدث لنا كان السيد الدكتور حكاكيان عضو المجلس العلمي في الجامعة، ولعله كان من عناصر المخابرات كذلك.

## اللقاء بـ "آية الله وحيد الخراساني" و"آية الله أستادي "

قال لي آية الله وحيد الخراساني في مكتب اللجنة الدعوية: تعالوا إلى قم في أول فرصة تجدونها، ليكون لنا لقاء آخر هناك، نتحدث فيه بالتفصيل.

بعد بضعة أشهر من بدء الفصل الدراسي الحادي عشر سافرنا إلى قم لنلتقي بآية الله وحيد الخراساني.

ذهبنا مباشرة إلى الحوزة العلمية بقم.

لكننا شعرنا بغربة عجيبة في المكان وإن كنا قد قضينا هناك عدة سنوات من عمرنا، نعرف الأساتذة والطلاب ويعرفوننا، إلا أن هذه المرة كان الجو يختلف تماماً، فقد لاحظنا العيون تراقبنا في كل مكان وتنظر إلينا بشيء من الريب والشك وشيء من التحقير والتذليل.

كانت الشفاه تتحرك بعبارات فيها تعريض أو استهزاء أو استنكار لما نحن عليه من الحق، فلم نجد رغبة في البقاء في الحوزة العلمية.

ذهبنا إلى بيت السيد آية الله وحيد الخراساني، أشعرنا آية الله بحركاته ونظراته أن تلك الصلة الودية التي كانت بيننا، من صلة الطالب والأستاذ، وتلك الروابط الصادقة وذلك الحب والود قد انتهى دوره.

مع هذا كله لم نقصر في حقه فكنا نشعر بعظيم حقه وبفضله الكبير علينا، فقد كان أستاذنا وشيخنا.

اهتم بنا اهتماما خاصا طول فترة دراستنا، كنَّا نخصه بالاحترام والتبجيل ونشعر تجاهه بالعطف والمحبة، ولاسيما وأنه تدخل شخصيا في قضيتنا، فلم نخرج من السجن إلا بشفاعة وتزكية وتوصية منه.

أيا كان الأمر فتح باب المناقشة والبحث.

قال لنا السيد آية الله وحيد الخراساني مستهزءاً بنا: مرحبا بكم! فقد كنتم أفضل طلاب "الحوزة" أخلاقا ودراسة وتفوقا ونشاطا، وكأنكم سادة الطلاب وأمرائهم، وها أنتم الآن قد جرحتم مشاعري وأخجلتموني، فمرحبا بكم يا سادة الطلاب وأمرائهم! لابد لنا أن نفتخر بكم فقد خيبتم ظن الأساتذة فيكم، وضيعتم رسالة "الحوزة العلمية"بقم، أكبر قاعدة ننطلق منها نحو العالم.

كنَّا نثق بكم ونحترمكم ونعرف لكم مكانتكم، كنَّا نبعثكم للمناظرات والمناقشات إلى المناطق السنية، كنَّا نرى فيكم رجالا يعتزون "بحوزتهم العلمية" ويفتخرون بحملهم لواء المكتب العلوي، ويتباهون بحبهم لآل بيت الرسولﷺ، لكن مع الأسف الشديد لم تكونوا عند حسن الظن، فها أنتم ضيعتم آمالنا، نكّستم رؤوسنا ورأس جامعتكم العلمية ورأس المكتب العلوي كله، ماذا سيقول الناس عنَّا؟ ماذا سيقول التاريخ عنكم؟ رجال كان من المفروض أن يحملوا رآية أهل البيت – عليهم السلام – إلى العالمين، فإذا بهم ينقلبون أعداء لأهل البيت سلام الله عليهم!

كنَّا نتصور أن ذهابكم إلى المناطق السنية وأنتم طلاب نشيطون ومتفوقون في الدراسة، سوف يؤثر في هؤلاء الناس، وسوف تنيرون الدروب أمامهم وتأخذون بأيديهم إلى نور الحق، وتصححون أفكارهم وعقائدهم الخاطئة، ولكنكم جعلتمونا نستحي من أنفسنا، فقد كان التأثير سلبيا تماما، خلاف ما كنا نظنه، قد أثرت فيكم دعايات مجموعة من الوهابيين الذين جبلوا على اللجاجة مع المذهب العلوي، وعلى عداوة أهل بيت الرسولﷺ، فبدل أن تخرجوهم من الظلمات إلى النور وقعتم في شراكهم، وأغمضتم عيونكم عن النور، وسقطتم في دياجير الظلمة، وخنتم عقائدكم الشيعية المباركة بدل أن تفتخروا وتعتزوا بها.

بدأتم تلعبون بأصول المذهب وثوابتها، وجعلتمونا وجعلتم "الحوزة العلمية" والمكتب العلوي وحتى أسركم وعوائلكم أضحوكة أمام الناس.

جعلتم بحركاتكم الصبيانية طلاب الجامعة في طهران يشكون في صحة معتقداتهم ومذهبهم!

أصبح الطلاب البسطاء يشكون في كل شيء، وما عادوا يرغبون في المشاركة في البرامج العبادية والجلسات المذهبية، وها أنتم تتحملون جريرتهم ووزرهم.

أهنتم المذهب الشيعي المبارك، وبحماقتكم طعنتم في معتقداته وأصوله وأفكاره.

لم يشهد تاريخ المذهب نكسة وضربة من أبنائها مثل ما شهده منكم، ألا تستحون من مواقفكم؟ كيف ستقابلون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ بأي وجه ستقفون أمام الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف؟ ماذا سيكون موقفكم أمام أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم؟

بعد هذا الكلام العاطفي بدأ آية الله يخفض صوته. وقال بنبرة فيها شيء من العطف: يا أولادي، قد يواجه المرء مشاكل اقتصادية، وقد يلعب الشيطان برأسه ويحاول الهروب من مشاكله فينجر إلى ترك مذهبه الشيعي المبارك طمعا لدراهم معدودة، يقدمها إليه بعض الوهابيين من أعداء أهل البيت الذين تفننوا في شراء الذمم، لكن من يعشق أهل البيت يترك لنفسه خطا للرجعة، وأنا مستعد أن أقدم لكم ما تريدونه من المال، أستطيع أن أساعدكم بخمسة ملايين تومان وإن شئتم حتى بعشرة ملايين!

كنت أنا وصاحبي علي رضا محمدي نكن لآية الله الخراساني احتراما خاصا، لم نكن نبدي أية حركة أو ننطق بأية كلمة يمكن أن تحمل على قلة الأدب والاحترام، لكن الأمر في هذا الموقف كان يتعلق بالعقيدة وبالدفاع عن الحق فمع مراعاتنا لكل المفاهيم الأخلاقية التي تقتضيها علاقة الطالب بشيخه، كان ولابد أن نجيب على هذه النصائح الكريمة وهذا الطعن الشديد الذي وجهه إلينا سعادة آية الله الخراساني، فكسرت حاجز الصمت وقطعت كلام السيد الخراساني وقلت: سعادة الشيخ! حضرتكم تعرفون أكثر من غيركم مدى حبنا لسيدنا علي المرتضى عليه السلام ولأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، القضية ليست عداوة لأهل البيت كما صورتموها، وإنما قضيتنا هي قضية العقيدة لا غير.

نحن بعد دراسة وتعمق وبحث أدركنا أننا كنا نعيش في واحة من الخرافات والبدع والشركيات، ووجدنا بأن أهل السنة على الحق الذي كان عليه سيدنا علي عليه السلام، وأنهم هم هواة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنهم هم حاملوا لواء أهل البيت وأصحاب عقيدة أهل البيت لا نحن.

ماذا تعني الدنيا أمام هذه المفاهيم، يا سعادة الشيخ والله لا تساوي الدنيا كلها أمام ما أدركناه من الحق حبة خردل ولا أقل من ذلك، لم نكن يوما ما بفضل الله - عز وجل - بحاجة أن نبيع ديننا بثمن بخس دراهم معدودة، ولن نبيعه...

بهذا أفهمنا الشيخ بأننا لم نخرج في هذا الطريق لنرجع منه، وأننا مصرون على عقيدتنا ولن نرجع عنها وإن قطعنا إربا إربا، أو وضعت المناشير على رؤوسنا وقسمونا نصفين أو حرقونا بالنار كإمام الموحدين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ثم تجرأت وقلت للشيخ: أعتذر جدا من حضرتكم أنني أطرح هذا الكلام أمام سعادتكم، ولكن بما أن حديثنا عن العقيدة، ولابد من الاعتزاز بما نؤمن به.

حضرتكم تتحدثون عن خمسة ملايين تومان، وها نحن مستعدون أن ندفع لكم عشرين مليون تومان لترجعوا عما أنتم فيه إلى الحق الذي وصلنا إليه وتصبحوا من أهل السنة والجماعة!!

شعرنا بأن الاستمرار في الحديث مع آية الله الخراساني وبقاءنا في حضرته لن يحل مشكلتنا معه ولن تتغير نظرته إلينا، ولن يفهمنا، بل حديثنا يزيد الفجوة بيننا ويضع بذور الكره والبغضاء بيننا، فرأينا أن نجمع أطراف الحديث ونستأذن من حضرته، فودعناه وخرجنا من عنده.

قال لنا عند الخروج: أوصاني السيد آية الله "أستادي " بأن أقول لكم أن تذهبوا إليه بعد لقائكم معي.

سمعنا كلامه وخرجنا من عنده أكثر إيماناً بما نحن عليه من الحق.

ذهبنا إلى بيت السيد آية الله أستادي، وكان في حضرته السيد آية الله مكارم الشيرازي.

كان السيد آية الله أستادي رئيساً للحوزة العلمية بقم، دامت جلستنا معه أكثر من ساعة كرر فيها نفس الكلام الذي قاله لنا آية الله الخراساني... لم نصل في هذا اللقاء كذلك إلى شيء، فودعناه وعدنا إلى طهران.

شعرنا عند وداع هؤلاء المشايخ وكبار آيات "قم" أنهم تألموا جدا وحزنوا وتأسفوا كثيرا على ضلالنا ـ كما كانوا يزعمون ـ!

## السفر إلى كاشان وإلقاء محاضرة في مسجد بكاشان

سافرت برفقة صاحبي علي رضا محمدي بسيارتنا إلى "كاشان".

كنا قد وضعنا خطة محكمة لنطبقها في هذا السفر، فقد اتفقنا أن نذهب إلى ابن "آية الله مدني" رئيس الحوزة العلمية هناك، ونستأذنه في إلقاء محاضرة هناك.

كنَّا ندرك جيداً أن هذه الحركة قد تسبب لنا مشاكل عديدة، وقد نفقد رؤوسنا في هذا الطريق! فطرح القضايا العقدية والحديث عن التوحيد في مثل هذه المدينة التي اشتهرت بالتعصب والعناد واللجاجة ليس أمراً هينا، لكننا كنا شعلة من الاعتزاز والفخر بما وصلنا إليه من الحق.

كنَّا نحاول أن نترجم ما في صدورنا بالخوض في مثل هذه المواقف الصعبة والحرجة.

كنَّا نرى بأن موقفنا هذا يشبه العمليات الاستشهادية في أعمق أراضي الأعداء وفي جمع من أكبر قياداتهم، وأننا إن عدنا من هذه الرحلة سالمين فسوف تكون هي بداية المعركة الحاسمة!

أعترف أن هذه العواطف والإحساسات التي كانت تترجم اعتزازنا وفخرنا بما نؤمن به جعلتنا لا نقرأ الواقع قراءة حكيمة، ولا نفكر جيدا بالآثار التي قد تتركه مثل هذه المواقف، كنَّا نجازف بأنفسنا دون دراسة منهجية للواقع.

وصلنا إلى "كاشان" للخوض في هذه المجازفة الخطيرة.

ذهبنا مباشرة إلى بيت السيد "المدني" ابن آية الله المدني.

كانت لنا صداقة قديمة معه، فاتحناه في قضية المحاضرة، وطلبنا منه أن يرتب لنا برنامجا للمحاضرة.

لم يكن السيد المدني قد اطلع على المجريات الأخيرة وعلى أننا أصبحنا من أهل السنة والجماعة، ولم يكن سمع بما حدث لنا في الجامعة وما أحدثناه هناك، فرحب بنا.

في إحدى المناسبات المذهبية الخاصة رتب لنا برنامجا حافلا نحاضر فيه في إحدى المساجد الكبيرة في مدينة "كاشان".

استطعنا أن نقدم برنامجا أحر من الجمر أخرجنا فيه كل ما في جعبتنا، وتحدثنا عن كل حق وصلنا إليه خلال دراساتنا وبحوثنا على الملأ.

لا أنسى أن أشير بأن السيد محمدي - رحمه الله -كان يعاني من مشكلة في لسانه لا يستطيع أن يفصح جيداً، فكان يقدمني في المحاضرات.

حاولت في بداية حديثي أن أتحدث بشكل عام وأشرح الأصول العقائدية بشكل مجمل، ومن هناك أدخل في المبادئ والعقائد الصحيحة دون أن أثير مشاعر الناس وأحاسيسهم، لكن الأمر فيما يبدو خرج من يدي وقلت كل شيء أومن به بكل صراحة وصدق، ووضعت عدة علامات استفهام بارزة على المذهب الشيعي، كانت جديرة بأن تقلعه من جذوره وتصرخ ببطلانه...

تحدثت بإسهاب عن شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، وعن مناقبه وعن مكانته بين الخلفاء الراشدين، وبين صحابة الرسول ﷺ، ثم زدت الطين بلّة بأن قلت: لم يكن إسلام سيدنا علي ﵇ بتلك الأهمية التي يتحدثون عنها، فلا يستدعي الأمر كل هذه الدبدبة والكبكبة والاعتزاز والتفاخر والمباهات والضجيج، فقد كان علي ﵇، صبيا يعيش في بيت الرسول ﷺ، وقد رباه المصطفى ﷺ، فكان ولابد أن يتجلى صدى أخلاقه وأفكاره وعقائده ﷺ في هذا الصبي الذي يعيش في كنفه.

لكن الإسلام الذي لابد أن نفتخر به هو إيمان عمر ﵁، الذي كان قائداً يستطيع أن يحرك قبيلة ورائه، فهذا الذي كان كجلمود صخر صلب تغير وصار ذلك الأمير الذي غير العالم وسطر على صفحات التاريخ كل هذا المجد والعز للإسلام والمسلمين [١]...

ثم تحدثت عن "أبي لؤلؤة "المجوسي الملعون، وتلك المؤامرة النجسة التي أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عمر ﵁.

(١) صدر مؤخراً كتاب للأستاذ حسن العلوي بعنوان عمر والتشيع وهو كتاب رائع في بابه.

ولعل الحضور لم يكونوا قد سمعوا مثل هذا الكلام في حياتهم أبدا، ولم يكونوا قط يتصورون أن يسمعوا مثل هذا الحديث من عالم شيعي على منبر مسجد شيعي وفي مدينة مثل "كاشان"، فكانوا كمن ضربته الصاعقة يحترق في جلده فلا يستطيع الحراك.

كان الناس ينظرون إليَّ بأفواه فاغرة ملأتها الحيرة والتعجب، ولا يكادون يصدقون آذانهم فيما يسمعونه...

ولعل في صدور الجميع كان يدور: ماذا أصاب هذا العالم الشيعي؟ هل جن أم دخل في جلده العفاريت، يتحدث عن عمر عدو أهل البيت!! بهذا الاحترام والتبجيل ويعتز بذكر اسمه والحديث عن سيرته!!

شعرت بحركات مريبة في الحضور، فرأيت من الأفضل أن أكتفي بهذا فجمعت أطراف الحديث وأنهيت محاضرتي، ثم استطعنا أن نخرج من المسجد بسرعة، فركبنا سيارتنا وانطلقنا نحو طهران.

لم يمر وقت طويل والإشاعات تنتشر في كل مكان عما حدث في "كاشان"، وصل الكلام إلى جامعتنا بأن مجموعة من الوهابيين من علماء السنة لبسوا زي علمائنا الشيعة وخطبوا في مسجد في "كاشان"، طعنوا في عقائد الشيعة ودعوا إلى عقائدهم الوهابية.

ما وصل إلى جامعتنا من الخبر كان صدى لخطبة إمام جمعة مدينة "كاشان" الذي وضع المسؤولية على عاتق المخابرات، وأمن الدولة التي لا تؤدي واجباتها كما ينبغي إلى درجة أن تجرأ اثنان من الوهابية أن يلبسا زي علماء أهل البيت ويلطخوا منابر مساجدنا ويتحدثوا عن أعداء أهل البيت حديثا يفتت القلوب، فقد رفع هؤلاء الوهابيين شأن عدو أهل البيت الأول ومجدوه ووضعوا له فضائل ومناقب على منبر من منابر عشاق أهل البيت أصحاب المذهب الشيعي المبارك، وتباكى على غزوه في عقر داره!!

لفترة طويلة ظلت أخبار ما دار في "كاشان" حديث مجالس الطلاب ينفخون فيها ويزيدون وينقصون ويعلقون ويفسرون حسب ما يحلوا لهم.

ما أن هدأ الجو حتى وصلت الأخبار بأن الطالب السني السجين "محمد رضا موسايي" الذي فقدنا أخباره من يوم أن دخل زنازين المخابرات الموحشة، فقد عقله تحت التعذيب الروحي

والجسمي ولاسيما الصدمات الكهربائية في الرأس والمخ، ونقل قبل أيام إلى مستشفى المجانين في طهران فذهبت برفقة صديقي "محمدي" إلى عيادته هناك.

وجدناه مسكينا ذليلا فقد عقله تماما، فما كان يعرفنا ولا يشعر بما يدور حوله أبدا.

ظل أكثر من نصف ساعة يحملق في وجوهنا ويضحك بصوت عال.

تأثرنا جدا بما رأينا من وضع زميلنا محمد رضا موسايي، وكدنا نموت حزنا وغيظا على حالته، فقد كان صاحب ذكاء وعقل لم نجد له مثيلا، كان أبرز الوجوه العلمية بين طلاب كلية الطب، وكان من الممكن أن يصبح من عباقرة الطب في هذا العالم الضائع.

في منتصف الفصل الدراسي الثاني عشر سمعنا بأن الطالب "محمد رضا موسايي" استشهد في تلك الحالة المؤسفة فـ" إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ".. أسأل الله القدير أن يغفر له ذنبه ويكتبه في الشهداء الأبرار، ويجمعنا به في عليين إخوانا على سرر متقابلين، وأن يعوض الأمة خيرا منه وألا يحرمنا أجر جهاده وصبره وثباته... رحمة الله عليه..

## الفصل من الجامعة والسجن والتعذيب

كنَّا في بداية الفصل الثالث عشر الجامعي، وقد كثرت الإشاعات عن المحاضرة التي ألقيت في مسجد "كاشان" وعن الوهابيين الذين قاموا بهذا العمل، ثم جاء خبر استشهاد الزميل "محمد رضا موسايي" فقررنا أن نتجنب أي عمل قد يحدث بلبلة في البيئة الجامعية، فتركنا إقامة الصلاة جماعة، فقد كان المسؤولون يخافون منها كثيرا، ويشعرون بالضيق والحنق الشديد تجاهنا كلما أقمنا الصلاة جماعة، ولاسيما مسؤولي اللجنة الدعوية، فقد كانوا يظهرون عنادهم ويعارضوننا أكثر كلما أدينا الصلاة جماعة.

كان وقع خبر استشهاد الزميل "محمد رضا موسايي" شديدا على جميع الطلاب، لم نستطع أن نتجاهل هذه الحادثة فأردنا أن نقيم جلسة ذكرى لهذا الشهيد البريء.

أقمنا برنامجاً لذكرى هذا الشهيد حضره عدد كبير من الطلاب ولعل طلاب الشيعة الذين حضروا كانوا يتجاوزون تسعين طالبا.

جر بنا الكلام في المحاضرات التي ألقيناها بهذه المناسبة الأليمة إلى الحديث عن الوهابيين الذين خطبا في "مسجد كاشان"، واعترفنا على الملأ بأن هذين الوهابيين لم يكونا إلا أنا والسيد محمدي - رحمه الله -.

في اليوم التالي استدعينا إلى مكتب اللجنة الدعوية في الجامعة، ومرة أخرى وجدنا رأس الأفعى يرقد هناك السيد الدكتور حكاكيان.

كان هذا اللقاء بمثابة التحذير الأخير والإنذار الشديد إن أقمنا برنامجا آخر على هذا المنوال فسوف تضطر الإدارة أن تتخذ مواقفا شديدة تجاهنا.

بعد فترة وجيزة ولمناسبة أخرى أرادت الجامعة أن تعقد برنامجا آخر، وكان أحد العلماء مسؤولا عن التخطيط لهذا البرنامج وإدارته.

جاء إليَّ وبدأ ينفخ فيَّ ويذكرني بمناقبي وصفاتي العالية وأنني كذا وكذا!! ثم بدأ يحكي قصة البرنامج الذي رتبه، وقدَّم لي ظرفاً كان فيه خمسين ألف تومان كهدية تذكارية ثم قال: نرجو من حضرتكم أن تتكرموا مشكورين بتلاوة بعض آيات كلام الله المجيد في هذا البرنامج، ولكن حضرتك تعرف جيدا أن الأجواء عكرة، وألسن الناس طويلة لا ترحم، فلو تتكرم وتختم قراءتك بقولك "صدق الله العلي العظيم" تكون قد مننت علينا!!

أول ما جاء الرجل بدأت أشك في نواياه، وهنا تأكد لي أن هناك دسيسة وراء الحكاية، وأنهم يقصدون شيئا من وراء هذه الحكاية، لعلهم عرفوا أنني أصبحت من السنة وهم يظنون بأن أهل السنة يكرهون علياً كما يكرهون هم سائر صحابة الرسول ﷺ، وأنهم يأبون أن ينطقوا اسمه حتى ولو في القراءة! [1]..

كان موقفا مضحكا مبكيا، عقلية في غاية الحمق والجهل، وهل هناك أحد من مسلمي السنة يكره اسم "علي"؟

---

(١) الشيعة ينهون قراءتهم للقرآن بقولهم "صدق الله العلي العظيم"، ويظنون أن لفظ "العلي" هنا يعني سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه!! وبما أن السنة عادة ينهون تلاوتهم للقرآن المجيد بعبارة "صدق الله العظيم" فيظنون بأن السنة يكرهون علياً فمن ثم لا يذكرون اسمه في هذا الموضع!!

السنة هم الذين يدعون لاتباع علي، ويدرسون سيرته ويبجلونه، ويرون حبه من علامات الإيمان وكرهه من علامات النفاق [١].

لكنني أردت أن أذل هذا الرجل الأحمق وأغيظه، فقلت له: لا يا سيد، أنا لن أقول "صدق الله العلي العظيم" وسأقول معتزا "صدق الله العظيم" فقط.

بدأ السيد رضايي هذا يجادلني وأنا أصر على موقفي ووصل الأمر بنا أن وضعت الظرف الذي جاء به في يده وقلت له: يا صاحبي، كفى الله المؤمنين القتال، أنا لن أحضر جلستك هذه ولن أقرأ فيها القرآن!

بدأ البرنامج ويبدو أنهم لم يجدوا من يفتتح البرنامج بآيات من القرآن الحكيم، فمن ثم أتوا إليَّ يرجونني وأنا أرفض القراءة، إلى أن تدخل بعض الأساتذة ولاسيما السيد الدكتور "هدايت" المحترم، فاضطر رت أن أقوم وأتلو بعض الآيات ثم أردفت قراءتي بقولي "صدق الله العظيم" ليكون شوكة في حلقومهم.

بعد هذه الحادثة بيومين أو ثلاث، استدعيت إلى مكتب رئيس الجامعة وبعد نصف ساعة أصدروا قرار فصلي من جامعة "الشهيد بهشتي" بعد سبع سنوات من الدراسة فيها. وهكذا تم فصلي من الجامعة!

ثار صديقي محمدي عند سماع هذا الحكم الجائر وحزن حزنا شديدا وأراد أن يتشاجر مع الرجل الذي قدم لي قرار الفصل، لكن الرجل المسكين قال بكل بساطة: ليس لي من الأمر شيء، أنا فقد كلفت أن أبلغكم هذا القرار، وأنا لم أصدر الحكم، وإنما جاء الحكم من قبل إدارة الجامعة والمجلس العلمي.

بعد استلام قرار الفصل اتصلت بالوالد وأخبرته بالأمر، فغضب غضبا شديدا وبدأ يستهزء بي ويقول: مبروك عليك! هل ارتحت الآن؟! اذهب إذبح بقرة وارقص فرحا...

---

(١) عن زر قال: قال علي رضي الله عنه: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) رواه مسلم.

رجعت إلى البيت وكنت حزينا ومضطربا، وبدأ أبي وأمي وجدي وجدتي والأسرة كلهم يلومونني ويخرجون غيظهم وغضبهم على رأسي.

حاول والدي إصلاح الأمر لأعود إلى الجامعة، فقبلت إدارة الجامعة ذلك شريطة أن أتوب! ووضعوا شروطا تعجيزية أمامي لم يكن لي أن أخضع لها أبدا...

في إحدى الأيام لقيني أحد المشايخ من أعضاء اللجنة الدعوية في الجامعة، وقال لي: رأيت في المنام، أنك تبت ورجعت إلى الحق، وعدت إلى الجامعة مرة أخرى!

فأجبته: أبعدك الله من الشرور يا سيدي، هذا من نفثات الشيطان، ولا تعبير له...

## السفر إلى بلوشستان

بعد الفصل من الجامعة وشتائم الأهل ولومهم وغضبهم - ولاسيما غضب الوالدين - أصبح جو البيت لا يطاق، فقررت مع صاحبي "محمدي" أن نسافر إلى بلوشستان مرة أخرى.

في بلوشستان التقينا ببعض المشايخ وشرحنا لهم وضعنا وقلنا بأننا كنا من الشيعة وأصبحنا الآن من أهل السنة والجماعة، ورجوناهم أن يسمحوا لنا بأن ندرس في مدارسهم الدينية، لكنهم لم يستطيعوا أن يصدقونا وظنوا بأننا من رجال المخابرات نريد التجسس عليهم، فاعتذروا عنّا بكل احترام وقالوا بأن المدرسين والطلاب هنا يتحدثون بلغاتهم المحلية، وأن العدد قد اكتمل عندنا فليس هناك مجال في السكن الطلابي، وأننا نواجه مشاكل اقتصادية، وإمكاناتنا ضعيفة لا نستطيع أن نستضيفكم و... وهكذا رفضونا بتبريرات واهية، لكننا كنا نشعر بالحقيقة في قرارة أنفسنا، فهم لم يكونوا يصدقونا ولم يكونوا يستطيعون أن يثقوا بكلامنا، فمن كثرة ما كذب الشيعة، وجعلوا الكذب والدجل شعارا لهم على طول التاريخ، لم يعد أحد من المسلمين قادرا أن يصدق شيعيا!!

لم نجد أمامنا فرصة للبقاء، فاضطررنا للرجوع إلى طهران مرة أخرى...

## العودة إلى طهران

لم يكن ينتظرني في البيت بعدما عدت من هذا السفر القصير من بلوشستان، إلا والدي الغضبان الثائر الذي نسي كل معاني الأبوة والعطف، وحتى مكانته الاجتماعية كرجل طبيب أكاديمي، ونزل فيَّ بالضرب والشتم واللطم والركل وأخذ سلكا كهربائيا قويا وضربني به حتى شبع.

لم تستطع أمي أن تصبر على هذا الموقف العدائي الشديد، وهذا الضرب والتعذيب فأرادت أن تتدخل، فلم يكن حظها أفضل مني، حيث ضربها أبي ضربا شديدا.

أغمي علي في ذلك اليوم واليوم التالي عدة مرات، فكانوا يسكبون على رأسي ماء باردا لأعود إلى صوابي.

لما تعب أبي من ضربي، وأراد أن يخرج من البيت ربط يدي ورجلي وعلّقني كما يعلق الجزار الكبش الذي ذبحه ويريد سلخه.

اتصلت والدتي بصديقي "محمدي" وشرحت له حكايتي كلها، وطلبت منه أن يحضر ويخرجني من هذه الورطة.

وصل محمدي وكنت في حالة ضعف وإغماء شديد، فحملني على ظهره وأخرجني من البيت.

لم تمر من هذه الحادثة إلا بضعة أيام وتم القبض علي وعلى صديقي محمدي – رحمه الله –.

## السجن مرة أخرى

كنت جالساً في بيت السيد محمدي، وما زالت تلك الصورة أمام عيني كانت بنته الصغيرة ـ ذات الأربع سنوات ـ وضعة أمامها طستا كبيرا من الماء، آخذةً تلعب بالماء.

فجأة طُرِقَ باب البيت بوحشية شديدة، ثم دخل البيت مجموعة من رجال المخابرات ووضعوا القيد في يديَّ ويديَّ صديقي محمدي، وبدؤوا يجروننا إلى الخارج.

جرت البنت الصغيرة نحو أبيها تصرخ وتبكي وتحاول بسذاجتها وطهرها الطفولي أن تخرج القيد من أيدي والدها!! ولما شعرت بأن محاولاتها في فتح القيد قد باءت بالفشل، أخذت برجل أبيها تحاول أن تجره إلى داخل البيت، وتصرخ وتبكي بصوت عال.. كانت صورة مؤلمة جدا، كانت

لوحدها كافية في أن تدمع عيون كل إنسان وتجرح مشاعر أي بشر وتفجر قلبه، لكن أنى لزبانية النار ولدعاة السجون من قلوب في الصدور!!

لم يكن أمام الأب إلا أن يحضن بنته بأيدٍ مكبلة، ويقبلها على جبينها ورأسها ويودعها إلى أجل غير معلوم وإلى مسير مجهول...

طفلة بريئة لا تدري ماذا يجري حولها، وأب يودعها إلى حيث لا يدري.

إلى مكان الذاهب إليه مفقود والقادم منه مولود، صورة كلها مشاعر حب وحنان في جو يحكمه ظلم وطغيان.. صورة لو أدركتها الصخور الصامتة في الجبال الراسيات لتفجرت عيونا تجري منها الدماء، لكن أنى لقلوب الحديد أن تعطف على العينين فتدمع!! هذه القلوب تتلذذ بمصائب الناس وترتوي من عويلهم وبكائهم!!

أخذونا إلى حيث لا ندري، وعرفنا فيما بعد بأنها كانت وحدة المخابرات الدولي.

لم يكن تعاملهم هناك سيئا، فلم يضربونا ولم يعذبونا، كان معظم وقتنا يقضى بين السين والجيم، يسألوننا ونجيب، يستفسرون ونشرح، ثم يعودون من جديد إلى نفس الأسئلة لنعيد نفس الأجوبة.

كانت معظم الأسئلة تدور حول محور كيف ضللتم؟ من الذي أضلكم؟ ما هي أسباب ضلالتكم؟

أعتقد أن هذه المسرحية دامت عشرة أيام إلى اثنى عشر يوما، نسمع نفس الأسئلة ونفس الهتافات ونعيد نفس الأجوبة...

ظلت عيوننا مربوطة في كل تلك الفترة، إلا عندما كانوا يعيدوننا إلى الزنزانة!

قال لي صديقي محمدي – رحمه الله –: إني شعرت في إحدى جلسات التحقيق بوجود عمي "فرشيد".

ومن هنا عرفنا بأن عمي عميل للمخابرات.

## بيت الأشباح أو غرف التعذيب

بعد هذه الفترة التي قضيناها في التحقيق ـ قرابة اثني عشر يوما ـ نقلونا إلى قسم التعذيب، وكان مكانا مخيفا يشبه قلاع الأشباح، وبيوت الشياطين، سلمونا إلى أناس آخرين، كانت عيوننا مربوطة.

تركنا من كان يرافقنا وبدؤوا يذهبون، فإذا بمن استقبلنا يخاطبهم بصوت ضخم يشبه صوت زبانية النار أو شياطين العقاب: هل هؤلاء هم أصحاب عمر وأعداء علي؟!

ذهب هؤلاء الجنود وبقينا في هذا المكان الموحش بين أيدي أناس آخرين، سمعنا نفس الصوت المخيف يخاطبنا بغرور وخبث: هل تعرفون إلى أين جئتم؟ سكت قليلا ثم أصدر ضحكة شيطانية وقال: هنا مصنع الرجال، يحضرون لنا الحمير والبغال لنصنع منها بشرا سويا..

كان صوت هذا الرجل الذي كانوا ينادونه بـ "الحاج" وطريقته في الكلام مخيفا جدا، شعرنا بشيء من الخوف يدب في قلوبنا.

وضعوا كل واحد منَّا في زنزانة انفرادية لوحده، ويبدوا كانت الزنازين بعيدة عن بعضها فبالكاد كنا نستطيع أن نسمع أصوات بعضنا.

كانت الزنازين تشبه كهوف الأجنة قد كانت رائحتها نتنة قبيحة جدا، وكأنها قبور مفتوحة تعفنت فيها أجساد الأموات، كان الجو فيها رطباً.

بقينا فيها فترة طويلة جدا وبعد هذه الفترة العصيبة التي تعذبنا من وجودنا في هذا المكان المخيف أخذونا إلى الحساب والكتاب ـ كما كانوا يسمونه ـ!

في البداية أخذوا السيد محمدي، ولا أدري ماذا فعلوا به، ثم بعد فترة قصيرة جاؤوا إليَّ وجرّوني إلى هناك.

صرخوا فيَّ: إنك تزعم أنك لا تعترف! وبدؤوا يكيلون لي اللطمات والركلات.

كان المضحك في الأمر أنني لم أكن أفهم ماذا يقصدون بـ"الاعتراف"، وبماذا يجب أن أعترف؟ لأنني كنت قد قلت لهم كل ما كنت أعرفه، وما كنت أؤمن به دون محاباة ولا خوف.

قلنا لهم كل شيء في لقائنا الأول في قسم المخابرات الدولي، فلم يبق عندنا ما نقوله بعد ذلك فهم في الواقع كما كان يقول السيد محمدي: كانوا يريدوننا أن نعترف بأشياء لا نعرف عنها شيئاً!!

كان الاعتراف لغزا وسرا مجهولا بالنسبة لنا، لا ندري ما كنهه، فما كنَّا نعرف ماذا يجب أن نعترف حتى يرضى عنَّا زبانية العقاب، فيرفعوا عن ظهورنا سياطهم، أو يخففوا عنَّا بعضا من ألوان عقابهم!!

تركونا يوما أو يومين في آلامنا، ثم أعادونا للاعتراف مرة أخرى.

بدأ الضرب والتعذيب مرة أخرى، وركزوا هذه المرة على الفلق ـ الضرب بالسياط على تحت الأقدام ـ وكان الدم ينزف من وجوهنا وأقدامنا.

لم نكن نعرف ماذا يجب أن نعترف.

شعروا مرة أخرى باليأس من الاعتراف، أرجعونا إلى زنزانتنا لتندمل الجروح بعض الشيء.

في المرحلة الثالثة أخذونا بعد عدة أيام إلى صالة كبيرة، وكأنها كانت سردابا تحت الأرض، وكان بها أجهزة خاصة للتعذيب تشتغل لوحدها وتقوم تلقائيا بما يجب عليها من العقاب!

ماذا حدث لنا في تلك الصالة اللعينة، وماذا صنعوا بنا وكيف عذبونا بصور وحشية يعجز قلمي عن تصويرها، بل أكاد أجن كلما تعود تلك الصور إلى خاطري.

أسأل الله – عز وجل –ألا يسوق أي إنسان ـ مهما كان من أمره ـ إلى هذا المكان.

انقطعنا في هذا المكان عن الأسباب الدنيوية كلها، وكنَّا نستغفر الله ونبتهل إليه ونتضرع بين يديه...

عدنا إلى الزنازين ليأخذونا بعد عدة أيام إلى الرحلة الرابعة من الضيافة.

كانت هذه الوجبة أخبث الوجبات السابقة، تعذيب لم يخطر لنا على بال، التعذيب بالقرصات أو اللدغات أو الصدمات الكهربائية على أطراف الرأس والمخ، كنَّا لأول مرة نواجه مثل هذه المواقف العصيبة.

كلما كانوا يوصلون الكهرباء إلى رؤوسنا كنَّا نشعر وكأن آذاننا تنفجر وتخرج منها الدم بغزارة.

كنَّا نصبر على هذا العقاب الشديد ونحتسبه عند الله، ونحاول أن نقاوم هذه الهمجية لكن سرعان ما يغمى علينا.

لا ندري بعد ذلك ماذا يفعلون بنا، إلى أن نعود إلى الحياة، ويعودون إلى العقاب.. أعادوا إلينا هذا التعذيب عدة مرات.

ثم أخذونا إلى وجبة جديدة.

ربطوا أرجلنا وعلّقونا على أعمدة حديدية طويلة، فكان يخرج ما في بطوننا من أفواهنا وأنوفنا ويعيدون الحركة بشدة وعنجهية ووحشية لا توصف، إلى أن بدأ الدم يخرج من أفواهنا وعيوننا وآذاننا وأنوفنا.

في المرحلة الأخيرة من العقاب أخذوا السيد محمدي أولا، لا أدري ماذا صنعوا به، ولما جاء دوري وأخذوني إلى المجزرة.

رأيت الدماء تجري على مكان تعذيب علي رضا محمدي، توقعت بأنه استشهد قبلي.

بدأت أحسده إذ سبقني إلى الجنة والسعادة الأبدية، وتركني أتحمل هذا العقاب وحدي.

كانت قطرات الدم الطازج على المنصة والمكتب الذي أجلسوني عليه، شعرت بأنني اقتربت من نهاية المطاف، واعتناق الموت.

كنت أشعر بشيء من السعادة من جانب وبشيء من الحسرة من جانب آخر، فلم أكن قدمت لديني ما أعتز به عند ربي!!

لا أدري ماذا حدث هناك، لكن ما أن فتحت عيني وجدت نفسي في زنزانتي وجسمي كله يؤلمني ألماً شديدا، ولا أستطيع الحراك، كنت أشعر بالضعف الشديد، كنت كالميت الجامد الذي لا يقدر على الحركة، ليس فيه من الحياة إلا الروح.

بعد هذا التعذيب الذي يبدو أنها المرحلة الأخيرة، تركونا لمدة ثلاثة أيام لا يعذبوننا.

بعد ذلك عرفنا أنهم كانوا يعدوننا للذهاب إلى المحكمة، فتركونا لتندمل الجروح شيئا ما، ولنتقوى على الوقوف على أرجلنا.

بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام بعد أن استطعنا أن نقف على أرجلنا، أخذونا إلى المحكمة الخاصة بالعلماء.

أول ما دخلنا المحكمة رأيت بأن والديَّ قد حضرا، كنت أحاول ألا يراني أبي، كنت أختفي خلف الجنود الذين أحضرونا إلى هذا المكان.

لكن أبي شعر بي لم أتبادل التحيات مع أحد من أقاربي أو أصدقائي حتى والدي، لا أدري إن كنت لا أرغب في ذلك، أو أنني لم أكن أستطيع أن أفعل ذلك، أو أنه لم يكن مسموحا أن أسلم على أحد منهم حتى لا أكشف للناس عما فعلوه بنا.

كنّا صامتين لا ننطق بشيء.

بعدما حضر السيد "سليمي" رئيس المحكمة، قرأت موارد الاتهام وكان كالآتي:

١. الارتداد عن الدين الحنيف.
٢. إعلان الحرب على الله – عز وجل –.
٣. الإفساد في الأرض.
٤. التجسس لأمريكا وإسرائيل.

لا أدري كيف دافعنا عن أنفسنا، ولا أذكر ما قلناه هناك، كل ما أذكره أننا تركنا أمرنا لله وتوكلنا عليه سبحانه وتعالى، وقطعنا رجاءنا عن جميع المخلوقات، ولم يكن في قلوبنا إلا الله.

أصدر القاضي "سليمي" رئيس المحكمة حكمه بأن ننقل إلى سجن "أوين" إلى أن تنظر المحكمة في الاتهامات من جديد.

مع أن المحكمة أصدرت حكمها بنقلنا إلى سجن "أوين" إلا أن أصحابنا كأنهم لم يشبعوا منا فأخذنا الجنود إلى نفس المكان ونفس الزنازين وإلى مرحلة جديدة من التعذيب.

استضافونا هذه المرة كذلك بألوان جديدة من التعذيب وبوجبة أخرى من الصدمات الكهربائية في المخ وأطراف الرأس، ثم لما شبعوا منَّا نقلونا إلى سجن "أوين".

## سجن "إوين"

دخولنا في سجن أوين كان فرجاً كبيراً بالنسبة لنا، كنَّا كمن يخرج من الجحيم إلى الجنة، أو من النار إلى الحدائق الجميلة!!

على الأقل لم نكن نرى هنا تلك الوجوه الشيطانية وتلك النعرات الوحشية لزبانية قلعة الأشباح، ولم نكن نتوقع مثل ذلك التعذيب في هذا المكان.

بقينا فترة طويلة نعاني من الضعف الشديد، والتعب والجراح.

بدأت القوة والصحة تعود إلى أجسامنا شيئا فشيئا.

كان "أوين" سجنا كبيرا، ترى فيه كل أنواع البشر من كل فئات المجتمع، ومن كل الألوان والثقافات والأقوام.

لكن التعذيب ترك آثاره الخطيرة على أنفسنا ومشاعرنا، فلم نكن نرغب بالاقتراب من أحد من الناس أو بالحديث مع أحد من المساجين.

بعد فترة طويلة زارني والديَّ في السجن.

كنت أشعر بأنهم أرغما على هذه الزيارة فلم يكونا يرغبان في اللقاء معي، كما لم تكن نفسيتي ترغب برؤية أحد من الناس.

شعرت خلال هذا اللقاء أن مواقف أبي لانت قليلا، وإن كنت لا أهتم كثيرا بحديثه.

بعد فترة زارني كذلك والد صديقي محمدي، وبعد مقدمة طويلة قال لي: إن طلبوكم إلى المحكمة مرة أخرى، أرجو أن تضع كل شيء على نفسك، وقل بأنك وحدك المتهم وأن علي رضا بريء من كل شيء، فإن خرج هو من السجن، نحاول نحن جميعا في البحث عن طريقة نخرجك من السجن.

وحاول أن يقنعني بذلك وحلف لي عدة مرات.

لم يكن حديثه وكلامه يهمني، ولم أكن أصدق حلفه ولا التفت إلى عهوده، لكنني كنت أتمنى أن يخرج محمدي قبلي، وذلك لسببين:

الأول: أن تلك الصورة العاطفية التي شاهدتها يوم القبض علينا من وداعه لابنته الصغيرة، وتلك الدموع التي كانت تجري على خد الطفلة البريئة كانت دائما في خاطري.

كنت دائما أراها في أحلامي وأنها تحاول أن تفك أيدي والدها ولا تستطيع.

الثاني: كنت أشعر بأن والد صديقي محمدي مازال يفكر في ولده ويحبه.

عاهدت والد محمدي بأنني سأعلن في المحكمة بأنني أنا المجرم الوحيد وأنني خدعت السيد محمدي، وليس له دخل في كل هذه الجرائم، وهو بريء منها علما بأن صديقي محمدي لم يكن على علم بما جرى بيني وبين أبيه من العهود والمواثيق.

عندما حضرنا للمحكمة مرة الثانية، أعلنت عن مسؤوليتي تجاه كل تلك الاتهامات، وقلت بأن صديقي محمدي لم يكن له في كل هذه الأمور شيء، وإنما أنا خدعته، فصدر حكم المحكمة على براءته، وأفرج عنه بعد ثلاثة أشهر بعد أخذ المواثيق والضمان.

بعد ستة أشهر –تقريباً– من البقاء في سجن "أوين"، بدأت آثار الصدمات الكهربائية تظهر على مخي وأعصابي، فعدة مرات أصبت بجلطة في مخي وسقطت مغشيا علي، تدهورت صحتي مع الأيام وكثرت حالات الإغماء والاضطرابات العصبية إلى درجة أن رفع المساجين تدهور حالتي الصحية إلى إدارة السجن، ولما رأت إدارة السجن خطورة حالتي الصحية والنفسية رفعت الأمر إلى المحكمة.

أخذت إلى المحكمة للمرة الثالثة وكان قد حضرها عدد كبير من أقاربي ومعارفي وأصدقائي، كان بينهم الدكتور حكاكيان الملعون وقد عرفت فيما بعد أن كثيرا منهم أحضروا ليشهدوا عليَّ. وأصدرت المحكمة قراراً بالإفراج عنيَّ شريطة وضع ضمان يساوي خمساً وثلاثين مليون تومان.

وهكذا انتهت هذه الفترة الرهيبة وقد تركت آثارها في جسمي وأعصابي، مازلت أعاني من آثار ذلك التعذيب الهمجي وتلك الصدمات الكهربائية في رأسي...

## السفر إلى مشهد برفقة الوالدين

بعد تسليم الضمان إلى المحكمة تم الإفراج عني عام ١٣٧٧ش (الموافق لـ ١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ).

لكن وضعي الجسمي والصحي لم يكن مناسبا أبدا.

كان أبي قد تغير كثيرا، فكنت تحت إشراف طبي مباشر منه، بدأت صحتي تتحسن شيئا فشيئا.

كان أبي يحاول أن يرتب المستندات والأوراق اللازمة ليبعثني إلى خارج البلد لإكمال دراستي هناك.

لم تكن هناك أية مشكلة تعرقل برنامج أبي إلا إصراري على عقائدي، وعلى أنني لن أتنازل عنها أبدا، وأنني سأبقى عليها إلى أن ألقى الله بها ولن أتنازل عنها قيد أنملة.

حاول والديَّ كثيرا، لكنهم لم يفلحوا في أن يؤثروا فيَّ شيئا، في نهاية الأمر شعروا بأن الأمر قد خرج من أيديهم، وبناء على معتقداتهم الشيعية رأوا أن يلتجئوا إلى سيدنا الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد، ويطلبوا من حضرته أن يتدخل في أمري ويرجعني إلى الصواب!!

قررا أن نسافر معاً إلى زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام لعله يجيب دعوتهم.

كانوا قد رتبوا برنامج السفر إلى مشهد بطريقة سرية بعيدا عني لئلا أشعر بما يدور في رؤوسهم.

فطرحوا الفكرة بحيث أننا بحاجة إلى سفر سياحي نمرح فيه بعض الوقت حتى يذهب عنا هذا التعب الجسمي والروحي، وقالوا بأن أفضل مكان للسياحة هي مدينة مشهد المقدسة!! فسافرنا إليها...

في إحدى الأيام التي قضيناها في مشهد، طرحوا فكرة زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام، فذهبنا إلى هناك.

عند المرقد أخرجت أمي سلسلة حديدية كانت معها وحاولت أن تضعها على رقبتي لتربطني بالشبكة الفولاذية عند المرقد.

عرفت من هذا الموقف أنهم يريدون أن يربطوني بالمرقد ثم يطلبوا من الإمام أن يشفيني أو يتشفع عند الله - عز وجل -ليذهب عني ما أجده من الأفكار الضالة ويرشدني إلى المذهب الشيعي الذي كنت عليه ـ على حسب زعمهم ـ.

أثَّر هذا الموقف عليَّ كثيراً وتأسفت جداً وكدت أموت حزناً على ما أجده من أمي وأبي المثقفين

فقلت: يا أماه! هل أنا كلب حصور لتضعي هذه السلاسل على عنقي وتربطني بهذا الحديد؟!

حاولت أن أفهم والديَّ وقلت لهما: يا أبي العزيز، ويا أمي العزيزة، أنتما مثقفان وعاقلان، ما هذه الترهات التي تؤمنان بها، توبا إلى الله - عز وجل -التمسا منه كل ما تريدانه، فهو يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فلم تتركونه وتلتجئون إلى هذه الخرافات والبدع؟ لكن أمي كانت مصرة على موقفها وتقول: يا بني، ما أشرف أن يكون الإنسان كلباً للإمام الرضا هذا فخر وليس عيبا.

كنت أحاول أن أقنع أمي لكنها لم تكن تسمعني، ولما عجزت أمامها وغلبتني العواطف والحب والاحترام الذي كنت أكنه لها، قلت والحزن يفتت قلبي: يا سيدي الإمام الرضا، إذا كنت تقدر على المعجزات، فها أنا بين يديك خذ روحي لأتخلص من أمي!

هذا الكلام أثر في والدتي فتنازلت عن لجاجتها وموقفها...

ابتعدت عن والدتي ولا أدري ماذا صنعت هي وكيف أكملت زيارتها للإمام الرضا.

ذهبت بعيدا عنها وجلست في زاوية أقرأ القرآن وأطلب من خالق "الإمام الرضا" أن يهدينا جميعاً إلى الحق والصراط المستقيم.

وهكذا انتهت رحلتنا وزياراتنا لمشهد وعدنا إلى طهران.

تحسنت في طهران أكثر من قبل، بدأت الصحة تعود إليَّ وكنت أشعر بالراحة والطمأنينة بين أسرتي، وإذا بالدكتور حكاكيان رمز الخبث والدجل والشر يظهر في بيتنا من جديد.

جاء بخبثه ونفاقه الدفين يعتذر عما حدث ويقر بأخطائه ويريد أن يصلح ما أفسد لتعود الصلات والروابط الاجتماعية من جديد، وليثبت صدق نواياه قدم إليَّ مسدساً وقال: أصبح كثير من الناس يعادونك الآن، فخذ هذا المسدس عندك، وأنا أعاهدك أن أحصل لك على وثيقة رسمية تسمح لك بحمل السلاح.

لكنني عرفت فيما بعد أن هذا المنافق كان يريد مني أن أرتكب جريمة قتل أو أن أمسك وأنا أحمل المسدس فتزداد على جرائمي جريمة أخرى...

وهنا لابد أن أشير إلى أنه يوم أن أصيب صديقي الشهيد ورفيق درب هدايتي علي رضا محمدي وكنت أنقله إلى المستشفى، قال لي والدم ينزف منه: بأنه عرف قضية المسدس الذي قدمه لي الدكتور حكاكيان المنافق، وعرف بأن الرجل يكيد لنا، فأخذ المسدس من سيارتي دون علم مني وأخفاه في مكان آمن..

بعد الرجوع من "مشهد" إلى طهران تعبت من كثرة المكوث في البيت وقررت مع صاحبي علي رضا أن نسافر إلى كردستان...

في كردستان قدمنا أربع محاضرات في أماكن مختلفة في زي علماء الشيعة، ولم نكن ندري أن المخابرات تراقبنا، وتتبعنا في كل خطواتنا، وأن محاضراتنا كانت تسجل.

بعد هذه المحاضرات شعرنا بأن عملاء المخابرات يراقبوننا في كل مكان، وعرفنا بأنهم وصلوا إلى قناعة بأننا أصبحنا كالغدة السرطانية ولابد أن يتخلصوا منَّا بأي طريق كان.

فلما شعرنا بالخطر رجعنا مباشرة إلى طهران.

كانت الأجهزة الاستخباراتية تراقبنا في كل مكان، شعرنا بأن الأمر قد حسم وأنهم يريدون القبض علينا أو اغتيالنا لا محالة.

لم نكن نذهب إلى بيوتنا وكنَّا نختفي في بيوت الأقارب والأصدقاء...

## استشهاد علي رضا محمدي رحمه الله

بعد الرجوع من كردستان في مساء إحدى الأيام خرجت مع صاحبي علي رضا محمدي بسيارتي الخاصة، وكنَّا نريد الذهاب إلى "كرج".

شعرنا في ميدان "ولي عصر" في طهران، بأن سيارة المخابرات تراقبنا.

أخذنا عدة لفّات في ميادين المدينة وأسواقها وشوارعها المزدحمة وأزقتها الضيقة، وبعد أن شعرنا بأنهم افتقدونا دخلنا في طريق "كرج".

لكن الأجهزة الاستخباراتية كانت قد رتبت أمورها بشكل جيد، ففي الطريق وجدناهم قد سدوا علينا الطريق بسيارة من سيارات المخابرات ينتظروننا، فبسرعة شديدة غيرنا اتجاهنا صوب طهران مرة أخرى، لم نكن قد ابتعدنا عن المكان كثيرا فإذا بسيارة أخرى اقتربت إلينا ورشت علينا وابل من الرصاص.

أصيب أخي علي رضا في كتفه وصدره، فأخذت السيارة إلى جانب الطريق وأوقفتها.

ظن رجال المخابرات بأنهم قد تخلصوا منَّا، فلم يقفوا وأكملوا طريقهم إلى طهران.

كانت الإصابة شديدة، وكان الدم ينزف بشدة من أخي علي رضا، فأخذته مباشرة إلى مستشفى "لبافي نجاد"[١]، وتقريبا كانت الساعة الثالثة مساء عندما نقلوه إلى غرفة العمليات، لم تنجح مساعي الأطباء وفي الساعة الثاني عشر ليلا صعدت روح صديقي ورفيق دربي الوحيد علي رضا محمدي إلى بارئها، وتركني في هذه الدنيا وحيدا من غير مؤنس يؤنسني ومن غير صديق يرافقني، فإنا لله وإنا إليه راجعون...

الظروف الأمنية ما كانت تسمح لي بأن أحضر صلاة الجنازة عليه، وإن كان برنامج دفنه برنامجا بسيطاً للغاية.

بعد يوم أو يومين ذهبت خفية إلى بيت والد الشهيد لأعزيه. عرفت من خلال ما قاله لي والد الشهيد، ومن خلال تعاملهم معي أنهم يعتبرونني السبب الأول في استشهاد ابنهم، لكنني كنت في قرارة نفسي أرى بأنها كانت مشيئة الله وقدره أن أخذه إلى نفسه، فهذه الدنيا الدنية لا تستحق أن يخلد فيها الأبرار الصالحون، وأن أخي وصاحبي علي رضا كان أفضل مني فاختاره الله - عز وجل - للقائه ولم يخترني.

هكذا ذهب أخي وصاحبي علي رضا محمدي شهيدا إلى ربه لينعم في جنان الخلد، وبقيت أتحمل المصائب والآلام وحدي من دون صاحب يؤنسني ومن دون رفيق يرافقني، ومن دون صديق يشاركني آلام المحنة ويصبرني على البلاء ويرفع عني بعض ثقلها...

## استشهاد أخي "أرسطو رادمهر"

ظل عملاء المخابرات يبحثون عني في كل مكان، كنت أتحرك خفية بين بيوت الأقارب والأصدقاء.

لم أكن أذهب إلى بيتي ولا ألتقي بأسرتي، بلغ الأمر بوالديَّ مبلغه فكانا في شدة الغضب والحزن، ولعلهم كانوا يتمنون أن يتم القبض علي ليتخلّصوا من شري.

---

(١) بيمارستان لبافى نثراد.

كانت أجنحة المخابرات تراقب حركاتهم وسكناتهم وتحاول أن تصل إليَّ بأي طريق كان، ليغتالوني أو ليقبضوا علي.

في هذه الظروف الصعبة وقد ضاقت علي الأرض بما رحبت لم يكن لي من يواسيني إلا أخي الشقيق "أرسطو".

لم يكن يوافقني في أفكاري وعقائدي لكن صلة الرحم ورابطة الدم والحب الفطري الذي وضعه الله بيننا كان يجعله يهتم بي ويفكر في نجاتي من هذه الورطة، إلى أن حدثت لنا هذه الحادثة:

سبق لي أن رتبت مجموعة من المقالات تحت عنوان " الجيل المحروق"[١] تتحدث عن عقائد ورؤى الشباب بعد الثورة.

كنت قد كتبت بعضها في السجن، والبعض الآخر في أيام اختفائي وهروبي عن أعين المخابرات، وكنت سلمتها لمؤسسة "سروش" لتنشرها.

وجدت فرصة لأذهب إلى المؤسسة لأستلم الكتاب إن كانوا قد طبعوه.

ويبدو بأن أخي شعر أنني وقعت في فخ المخابرات، وأنهم وصلوا إلي، وعَلِمَ بخروجي إلى مؤسسة سروش.

فجأة وجدته دخل "دار نشر سروش" خائفاً مضطرباً ومعه الدكتور "هدايت" ويبدو أنه رافقه دون أن يعرف ما يجري حوله، وقال لي: المخابرات وراؤك، هيا اهرب الحق بي بسرعة..

خرجنا مباشرة وركبنا سيارته وتحركنا، وقد رآنا جنود المخابرات فكانوا يتبعوننا بسيارتهم.

كنَّا نتحرك نحو طريق "قم" ولم نبتعد كثيرا فإذا بسيارة المخابرات اقتربت منَّا وبدأوا يطلقون النار.

نزل وابل من الرصاص على السيارة ومزقتها تمزيقا، أصيب أخي في رأسه ورقبته.

بعدما رأيت نزيف الدم الذي أصيب به عرفت بأنه انتقل إلى رحمة الله – عز وجل –من ساعته... إنا لله وإنا إليه راجعون..

---

(١) نسل سوخته.

أخذت أخي الشهيد في نفس السيارة إلى البيت، وأخبرت والدي بكل ما حدث من سماعة جرس البيت ـ آيفون ـ وكنت أخاف أن ألتقي به، فتركت جثمان الشهيد في السيارة وهربت من هناك.

لم أتمكن أن أشارك في صلاة الجنازة على أخي الشهيد رحمه الله عليه.

بعد استشهاد أخي لم يبق لي من يساندني أو يقف بجواري في طهران، كأن المدينة الكبيرة التي ولدت فيها وقضيت فيها أجمل أيام صباي أصبحت لي موحشة لا مأوى لي فيها ولا ملجأ، فقررت أن أخرج من البلد إلى تركيا.

ولكن الظروف لم تسمح بذلك، فاضطررت إلى الذهاب إلى مدينة "كرمانشاه".

وبعد أشهر قليلة تم القبض عليَّ في "كرمانشاه" وأدخلت السجن.

فقد ضعت في مدينة "كرمانشاه" وبقيت تحت ظلال الخوف والهروب من مكان إلى آخر، وفي النهاية القي القبض عليَّ، وتجدد والسجن والتعذيب.

حكاية مؤلمة لا تتحملها هذه الخواطر السريعة، ولا أرى ضرورة لسردها هنا، فعالم المأساة سماء داكنة سوداء تقذف نارا، وأرض ضيقة لا تتجاوز سم الخياط وتحمل فوقها ألوان العذاب!!

كنت أعيش هذه المآسي وحدي، وقد ذهب شهيد، آخر من كان يواسيني، أخي "أرسطو" الذي لم يتركه أعداء السعادة أن يذوق حلاوة عرسه، فقد استشهد في السادس والعشرين من الشهر وكانت الأسرة قد رتبت برنامج زواجه في التاسع والعشرين!!

لعنة الله على أعداء الحرية... شياطين الإجرام... عشاق الظلام...

## السجن في كرمانشاه

بعد استشهاد أخي "أرسطو" أصبحت مدينة صباي وأحلامي "طهران" الكبيرة بالنسبة لي، جحرا صغيرا لا يسعني، فلم يكن فيها من تعجبه رؤيتي، حتى أسرتي ووالدي.

بعد فترة وجيزة ذهبت إلى "كرمانشاه" لأذهب من هناك إلى "كردستان".

ماذا حدث لي في "كرمانشاه"؟ وكيف قضيت أيامي هناك؟

حكاية طويلة لا داعي لذكرها هنا، يكفي أن أشير بأنني قضيت فيها أياما شديدة، كان كل يوم منها كألف سنة هكذا قضيت عدة أشهر هناك.

كان من سوء حظي أني كنت في بيت رجل كانت بينه وبين زوجته مشاكل.

في إحدى الأيام اشتد الخلاف بينهما فخرجت الزوجة من البيت، واتصلت بالمخابرات وأخبرتهم بأن زوجها آوى رجلا هاربا من القانون، ومن معارضي الحكومة، وأنه الآن في البيت.

لم نعرف الحكاية إلا بعد أن نزل جنود المخابرات كالصاعقة علينا، وبدأت حكاية جديدة من المآسي، تعذيب لا يطاق، وعذاب لا يتحمل في سجون شيطانية لا توصف..

قضيت أياما عصيبة بين مخالب المخابرات في سجن "ديزل آباد" في مدينة "كرمانشاه" ثم نقلوني بالطائرة إلى طهران.

إلى مكاني الأول "المخابرات الدولي" وإلى نفس مكان التعذيب، دار الشياطين وقلعة العذاب الملعونة.

كانت وجبات التعذيب هذه المرة أشد من سابقتها، لا أستطيع وصفها، كلما تأتي تلك الصور الموحشة إلى خاطري يقف شعر رأسي خوفا لمجرد ذكراها!!

قضيت قرابة ثلاثة أشهر تحت نيران عقابهم وعذابهم، ليس لي ذنب إلا قولي "ربي الله لا أعبد إلا إياه مخلصا له ديني".

نقلت إلى المحكمة الخاصة بالعلماء التي أصدرت قرارها بأن أنقل إلى سجن "أوين" في طهران وبعد فترة نقلوني إلى سجن "القصر" في طهران فخطبت فيه بين المساجين، فنقلوني منه إلى السجن الرئيسي في "أراك" ثم أرجعوني أخيراً إلى سجن "أوين" في طهران.

لم تمر علي أيام في "أوين" وإذا بذلك الدكتور الملعون ـ الدكتور حكاكيان ـ يأتي لزيارتي إلى السجن.

حاول أن يربط قضيتي بأسرتي من جديد ليعذبهم مرة أخرى، كان في رأسه خطة خبيثة، كان يحاول أن يجبرني على أن أطلق زوجتي.

ظل يكرر في زياراته لي أن زوجتي طلبت من المحكمة الطلاق مني، كان يذهب إلى زوجتي ويقول لها: لم يبق أمل في نجاة زوجتك وحياته أبدا، ولن يخرج هذه المرة من السجن إلا إلى المشنقة، ويحرّضها على رفع القضية إلى المحكمة والمطالبة بالطلاق.

بدأ اللعين يجري بيننا إلى أن استطاع أن يهيئ جوا متوترا بيننا، ودون علم مسبق مني ودون إكمال الإجراءات القانونية للطلاق أصدرت المحكمة حكم الطلاق والفصل بيني وبين زوجتي!!

تعرفت في السجن على مجموعة من المثقفين والمتنورين والمفكرين الكبار مما جعلني أشعر بشيء من الراحة.

كانوا قد عينوا لي محاميا ليدافع عني، لا أدري كيف كان وكيف دارت الأمور وراء الكواليس، وكيف طرح المحامي قضيتي، أخذت عدة مرات إلى المحكمة التي وصلت في النهاية إلى قرار الإعدام!!

أبلغ المحامي حكم الإعدام إلى أسرتي، لكنني حتى ذلك الوقت لم أكن أعرف بأن المحكمة أصدرت قرارها، إلى أن طلبتني المحكمة يوما، فأخذني مجموعة من حراس السجن إلى مكتب القاضي.

دخلنا مكتب القاضي وكان هناك نزاع ومشاجرة شديدة بين واحد من قضاة المحكمة ورجل آخر، جر النقاش بينهما إلى الصراع والضرب.

كانت أيدي مرافقي من حراس السجن مربوطة بالقيد الحديدي الذي بيدي، فاضطر وا لحفظ النظام أن يفتحوا القيد ليتدخلوا في الأمر.

هكذا وجدت الفرصة مناسبة، فدخلت في الزحام واستطعت أن أهرب من هناك بطريقة لا أجد لها تفسيرا إلا الرعاية الربانية، كان من قدر الله - عز وجل -أن أعيش أياما أخرى، فيسرت لي سبيل النجاة من أيدي هؤلاء الحراس شياطين العذاب!

هكذا استطعت بعون من الله - عز وجل -بعد تسعة أشهر قضيتها في السجن والعذاب أن أهرب من أيديهم.

اتصلت بأسرتي بعد فترة، وعرفت بأن المحكمة أصدرت حكم الطلاق دون علمي.

ذهبت إلى زوجتي لأخبرها بحقيقة الأمر، لكنها قالت لي: بأنها بدأت حياة جديدة هادئة بعيدا عني وعن مشاكلي، طلبت مني أن أتركها ولا أعكر عليها الجو.

من أجل راحتها ومن أجل سعادة إبني الوحيد عسى أن يعيش في جو من الهناء والمحبة، أنهيت صلتي بزوجتي للأبد، رجاء أن يعيشا في أمان وراحة ورجاء أن يأخذ الله - عز وجل -بأيديهما إلى الصراط المستقيم.

بحمد لله عز وجل منذ عام ١٣٧٨ش (٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ) إلى كتابة هذه السطور لم أزل على قيد الحياة انقطعت صلتي بأسرتي كلها، وأحيانا أتمكن من الاتصال بوالدتي، أما والدي فلا يرغب في الحديث معي أبدا.

بقيت في هذا العالم الكبير المكتظ بالناس وحيدا فريدا ليس لي من البشر أحد يؤنسني في وحدتي، انقطع رجائي إلا من الله - عز وجل -.

أصبحت مهاجرا يرعاني ويحفظني ويرزقني من حيث لا أحتسب!

## الهجرة إلى باكستان ومؤامرة الاغتيال

بعد الهروب من السجن كما أشرت، لم يكن لي ملجأولا مكان آوي إليه.

كنت أعاني من وضع نفسي سيئ جدا، وآلام وأمراض شديدة، قررت أن أسافر إلى بلوشستان الإيرانية ومنها إلى بلوشستان الباكستانية في سفر كله مخاطر وحكايات مؤلمة.

وصلت إلى باكستان دون أن أعرف أحدا أو مكانا ألجأ إليه، ودون أن أعرف لغة تمكنني من التفاهم بها لا الأردية ولا البلوشية أو البشتوية، كان الجو الأمني في باكستان متدهورا جدا نتيجة الحرب الأمريكية على طالبان والقاعدة، والغارات المتتابعة على أفغانستان.. فأثر هذا كله علي عكسيا، وزاد الطين بلة بالنسبة إلي.

كل ما كنت أطرق باب أي مدرسة دينية للالتحاق بها، كانوا يرفضونني، وحتى أحيانا ما كانوا يتركونني أستريح في المساجد، لم أكن أستطيع أن أتفاهم معهم لعدم معرفتي للغاتهم.

قضيت أياما صعبة جدا، كانت تمر علي في السفر أيام لا أجد فيها لقمة خبز جاف لآكلها.

قضيت ليالي عديدة في الصحاري والفيافي والجبال بين باكستان وإيران، لم يكن لي من يصاحبني في وحدتي إلا الحيوانات الوحشية من الذئاب والثعالب والثعابين...

كنت وأنا أتنقل من قرية إلى أخرى في المناطق الحدودية بين إيران وباكستان أشعر أحيانا وكأن المخابرات تتبعني فكنت ألتجئ إلى الجبال الموحشة، فقد كان خطر الحيوانات الوحشية أقل بكثير من خطر المخابرات وسجونها الشيطانية.

هكذا مرت علي أيام عصيبة...

بعد فترة طويلة بقيت في باكستان مهاجرا ألتحف سقف السماء وأتقلب على فراش الأرض، اتصلت بأحد أصدقائي السابقين في طهران وشرحت له وضعي الصحي وظروفي الصعبة، وأعطيته عنواني الكامل في باكستان عسى أن يساعدني لكنه ـ سامحه الله ـ خاب ظني فيه.

لا أدري لماذا؟ هل كان تحت ضغط من المخابرات، أو كان عميلا لهم، أو أنهم وعدوه بمال أو مقام أو لأي سبب آخر لا أدري.

قدم عنواني إلى المخابرات وأخبرهم بحكايتي وما كان من المخابرات إلا أن بعثوا فريقا من جنودهم لاغتيالي...

لم أكن أدري عن حكايتهم شيئا، كنت في إحدى الليالي أتوضأ في المسجد الذي آويت إليه، وأستعد للصلاة، وإذا بشاب أفغاني دخل المسجد وسلم عليَّ وقال لي: هل أنت إيراني؟ قلت: نعم، وعرفته بنفسي ظنا مني أن الفرج قد جاء!!

تحدثنا قليلا وأخبرته بمشاكلي الصحية وما أعانيه من الأمراض ـ هدايا السجون وشياطين الإنس ـ وأن الأدوية التي كنت استعملها قد انتهت من زمن بعيد.

فقال لي الشاب الأفغاني: أنه يعرف مكانا يمكننا أن نحصل على الأدوية من هناك.

خرجت معه عسى أن نحصل على بعض الأدوية، كانت سيارة أجرة فيها عدد من المسافرين تنتظر أمام المسجد، كان الجو مظلما، لم أستطع التعرف على من في السيارة، ركبنا السيارة وبعد أن قطعنا شيئا من الطريق وإذا بصوت يخاطبني من ورائي: السيد رادمهر، حضرت من طهران لآخذك معي، فلا تعمل لي ولا لنفسك مشاكل ورافقني مثل أي إنسان محترم!!

كان هذا صوت عمي "فرشيد رادمهر" فعرفت أنني وقعت في الفخ، وبدأت أتضارب وأتقاتل معهم في السيارة عسى أن أتمكن من الهروب، لكن عمي بدأ يطعنني بالسكاكين ويقول بأن أباك أوصاني إن لم تستطع أن تأتي به حيا آتني برأسه، ثم بدأ يرش على جسمي "ماء النار"(١)، وجرحني في يدي وقطع الوريد في رقبتي لكنني لم أصبر وكنت أضربهم بيدي وأركلهم برجلي، ضربت السائق ضربة انحرفت السيارة من الشارع وتوقفت، استطعت أن أخرج من السيارة وأتضارب معهم في الشارع، اجتمع الناس حولنا فصرخت فيهم بما تعلمته من الكلمات الأردية والبلوشية: أنا سني وهؤلاء شيعة يريدون قتلي... تدخل الناس وأخرجوني من بين أيديهم، واستطاع المجرمون أن يهربوا من هناك.

هكذا فشلت مؤامرتهم وباءت قضية اغتيالي أو إرجاعي إلى إيران بالفشل.

فالحمد لله رب العالمين...

بعد ذلك، أخذني الناس إلى المستشفى وبقيت عدة أيام في المستشفى تحت الرعاية الطبية الشديدة إلى أن إلتئمت جروحي وخرجت من المستشفى.

تركت هذه الحادثة الرخيصة وهذا الاغتيال الفاشل آثارا سيئة عليَّ، أصبحت كثيرا ما أصاب باختلال نفسي خطير، كثيرا ما يغمى عليَّ، وبدأت حالتي تزداد سوءا، فأراجع المراكز الطبية للعلاج، لكن لأنني لم أكن أملك مالا فكانوا لا يهتمون بي اهتماما كبيرا ولا يعالجونني كما يجب.

راجعت المراكز الطبية للعلاج وأخذت عدة تحليلات طبية، ودخلت المختبر الطبي أكثر من مرة، وكانت النتيجة الأخيرة أنني أعاني من مشكلة خطيرة في المخ - التومور -.

حكاية ما عانيته في بلوشستان الشرقية والغربية - أو الباكستانية والإيرانية - حكاية مؤلمة تحتاج إلى صفحات كثيرة لأصور فيها قصة الضياع والوحدة وما عانيته من الأمراض والمشاكل النفسية والروحية، لا داعي لفتح هذه الصفحات المؤلمة وأكتفي بهذه الإشارة السريعة، وأترك الصفحات الموحشة عسى أن تكون صفحات نور وثواب وأجر في صفحات آخرتي، يوم أن أستلم بإذن الله كتابي بيميني وأصرخ بين الخلائق معتزا فخورا ﴿... هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ

(١) تيزاب أو الأسيد.

حِسَابِيَهْ﴿٢٠﴾﴾ لأنتقل بعدها إلى ﴿... عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

# الكلمة الأخيرة

**عزيزي القارئ...**

كما ترى فإنه لم يكن لي صلة بأي اتجاه مذهبي أو سياسي، ولم أكن أتبع أي شخصية سياسية أو مذهبية، وما قدمته إليك من أوراق سيرتي الذاتية لا تدعو إلى أي اتجاه سياسي، وليست دعاية لحزب على حساب آخر، أو لجماعة على حساب أخرى، وإنما واقع عشته وحقائق عايشتها، لا أريد منها إلا أن أكشف عن وجوه لابد للعالم أن تعرفها... وأن أترجم مأساة الإنسان الحر الأبي الذي يأبى أن يرضخ تحت نيران الظلم والتقليد الأعمى في إيران وفي عالمنا الثالث ـ كما يسمونه ـ!!

وأن أقول لإخواني الشيعة، الذين يعيشون في ظلمات التقليد، ولا يتعبون أنفسهم بفتح عيونهم على الواقع المكلوم، والحقيقة الضائعة في مجتمعاتهم، أن درب الهداية مفتوح على مصراعيه، وها أنا قد وضعت بين أيديكم تجربتي الذاتية في هذه الرحلة، لا لأصور لكم معاناة الطريق، وإنما لتكون نبراسا تعرفون في ضوئها الطريق، ومن خلالها تأخذون درسا في التعامل مع المجتمع الذي تعيشون فيه، لئلا تثوروا ثورة عاطفية ـ مثلي ـ بل لتأخذوا طريقكم نحو الحقيقة على شاطئ الأمان، ولأقول لكم أولا وأخيرا بأن طريق الجنة محفوف بالمخاطر، وأن المسلم لابد أن يمر في حياته على بعض العقبات التي هي بمثابة امتحانات ربانية يضعها الله – عز وجل –على طريقه ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وبما أنني لم أكن أملك حين كتابة هذه الأوراق مراجع ومصادر علمية، لم أدخل في تفاصيل القضايا الفقهية والعقدية التي جاء ذكرها خلال سردي لسيرتي الذاتية.

وحاولت قدر جهدي أن أراعي جانب الحيطة فلا أذكر أسماء بعض الأشخاص الذين ساعدوني أو الأماكن التي اختفيت فيها فترة من الزمن لئلا يمسهم خبث الشياطين بسوء.

**وأعود لأجمع ما قلته في النقاط الآتية:**

## أ) من الولادة إلى الجامعة

كما أشرت فقد ولدت في أسرة شيعية، من أب شيعي وأم شيعية، وهما طبيبان مشهوران.

أبي جراح ومتخصص في أمراض المخ والأعصاب، وأمي جراحة ومتخصصة في أمراض القلب، وكلاهما من أساتذة الجامعات في طهران.

وبما أن والدي كان قد قضى فترة طويلة من حياته في خارج البلد، فقد تربيت تحت رعاية خاصة من أمي الحنونة، التي كانت تعتبر نفسها من أسرة "السادات الحسينية" ـ نسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ وكانت عائلتها يضرب بها المثال في التعصب والالتزام بالعقائد والتقاليد الشيعية.

فقد درست إلى مرحلة "حجة الإسلام" ولبست العمامة في "الحوزة العلمية الفيضية" في قم وكنت ملتزما بجميع العقائد والتقاليد المذهبية الشيعية ومؤمنا بها تمام الإيمان.

كنت في جميع مراحلي الدراسية سواء في الدروس العلمية أو العصرية في المدارس الابتدائية والجامعة، والدروس الدينية في "الحوزة" طالبا متفوقا ومجتهدا.

كنت دائماً تحت رعاية خاصة من أساتذتي في الحوزة العلمية بقم، وتحت اهتمام خاص من إدارة الحوزة.

كان اسمي دائما على رأس قائمة الطلاب المتفوقين في كلية الطب وفي الحوزة العلمية مما جعلني موضع اهتمام الجميع، كان لي دور خاص في برامج إلقاء المحاضرات، والمشاركة في البحوث العلمية، والمناظرات والمناقشات الدينية أو العلمية.

## ب) تغيير المذهب أو العقيدة

ذكرت هنا أهم الأمور التي ساقتني إلى الدراسة والبحث والتدقيق العلمي والتفكير العميق في عقائدي، وكيف أنني وصلت إلى أن المذهب الشيعي مذهب لم يبن على أسس عقدية سليمة وإنما كتلة بدعية نضجت تحت الأهواء السياسية، المصالح الشخصية مع الزمن.

ولم يخرجني من الظلمات إلى النور ولم يفتح عيوني للحقيقة إلا الدراسة والتفكير الجاد والحيادي، ولم يكن هناك أهداف ولا أطماع ولا أمور أخرى.. وإنما الحرص على رضوان الله - عز وجل - والطمع في جنانه...

## ج) نهاية المطاف

عزيزي القارئ... أخي المسلم وأختي المسلمة، أقاربي وأصدقائي وزملائي، أمي الحنونة وأبي المحترم أستميحكم عذرا واستأذنكم في أن أطرح أمامكم هذه التساؤلات رجاء أن تفكروا فيها مليا:

ـ ما السبب وما الهدف ومن الذي استطاع أن يجعل شخصا مثلي كان يوما "حجة الإسلام" وكان من أشهر الخطباء وملحني الأدعية البكائية ـ روضة خوان ـ ممن يبكون الناس ويضحكون على عقولهم لفترات طويلة.. وكان شيعيا متعصبا معتزا بمذهبه ودينه أن يتغير مئة وثمانين درجة، وينقلب على كل ما كان يؤمن به، فيضرب به عرض الحائط ويقبل طائعا مختارا مذهب أهل السنة والجماعة؟!

أي فيلسوف أو حكيم أو مفسر أو محلل للمسائل العقدية أو متخصص في العلوم النفسية، يستطيع أن يكشف عن الأسباب والدواعي التي تجعل شابا في اللحظات الأخيرة من كلية الطب ليس بينه وبين أن يصير طبيبا مشهورا تدق له الطبول، من أسرة غنية لا تعاني من أية مشاكل اقتصادية أو اجتماعية، من أب طبيب متخصص وأستاذ جامعي، وأم طبيبة متخصصة أستاذة جامعية و...

يترك كل هذه المظاهر المادية والحياة المرفهة، ليعيش حياة الفقر والزهد، بعيدا عن الناس جميعا، من أجل شيء واحد ليس إلا عقيدته التي يعتز بها؟!

ما الذي يجعل هذا الشاب يفضل هذه الحياة الصعبة مع هذه العقيدة الجديدة، بل ويعتز بها ولا يفكر أبدا في العودة إلى ذلك النعيم، لا يحزن عليها بل يشعر بالخزي والعار من نفسه كيف أنه قضى تلك الفترة كلها في تلك الضلالات والبدع، ولم يهتد إلى الحق المبين، ويستغفر ربه دوما، ويسأله أن يغفر له كل ما سبق من أمره...

**عزيزي القارئ...**

لعل الإجابة على هذه التساؤلات يصعب على الفلاسفة والمحللين والمفكرين والمتخصصين في المسائل العقدية، أو غير العقدية أو علماء النفس الذين ينظرون إلى الحقائق من زاوية واحدة لا تكاد تتجاوز أرنبة أنوفهم، مما يسمونه بالعلم والتحقيق المختبري والتحليل النفسي!!

لكنني أنا "حجة الإسلام" الشيعي السابق من طلاب الحوزة العلمية بقم، والطالب السابق بكلية الطب من جامعة الشهيد بهشتي بطهران، والمهاجر المجهول في هذه الديار المجهولة، أستطيع أن أجيبك بكل صراحة على هذه التساؤلات:

لا يخرج هذا الإنسان من أن يكون:

مجنونا، وهذا ما يعتقده والدي وأصدقائي وأقاربي الشيعة، وما يقول به أساتذتي من علماء الحوزة العلمية في قم وإدارة الحوزة، والجامعة في طهران، فهم جميعا يظنون بأنني قد جننت، لكن المشكلة التي يواجهونها هي أنهم لا يجدون تفسيرا لجنوني، ولا يستطيعون أن يقدموا جوابا لمثل هذه التساؤلات التي تطرح نفسها.

من أو ما الذي جعل هذا الشاب النشيط المتفوق الذكي يجن هذا الجنون؟!

وهنا أجد نفسي مضطرا أن أعترف بما يقولونه، أي: حقا أنني أصبحت عاشقا إلى درجة الجنون، أصبحت أعشق الحقيقة، وأعشق الصدق، وأكره الكفر والنفاق والشرك والبدع.. فقد زين قلبي بالإيمان وكرّه إلي الكفر والعصيان..

وأزيد لأكشف لهم عن أسباب هذا الجنون، أو ما الذي جعلني أتمرد على الواقع الذي كنت أعيش فيه؟!

**فأقول:**

ليس هناك سبب أو عامل جعلني أتغير كل هذا التغير إلا تلك القوة أو القدرة التي استطاعت أن تجعلني أميز بين الزيف والحقيقة، وبين الصدق والكذب، وبين الإيجابيات والسلبيات، وبين الهتافات الجوفاء، وبين إظهار المحبة الكاذبة وعدم الاتباع، والحب الصادق والإتباع، وبين التباكي والضحك على الأذقان والألام الصادقة، وبين التلاعب بالدين والعقيدة في سبيل المصالح الآنية، وبين التقوى والصدق، وبين الدين والعقيدة السليمة والشهوات والمصالح الدنيوية، وبين أعداء أهل البيت - عليهم السلام - الحقيقيين وبين الرموز الصادقة ومحبي الرسول وأصحابه، وبين من يشتم أصحاب الرسول ﷺ اتباعا لشهواته ويعتبرهم أعدء دين الله، وبين أتباع الشهوات وعبيد المصالح، وبين الإفراط والتفريط، وأصحاب الشك والتردد...

أجل! ليس السبب إلا تلك القوة التي حطمت جسور الجهالة من أمامي، ورفعت ستار الظلمات من أمام عيني.

تلك القوة التي رفعتني إلى حيث رأيت الحقائق بأم عيني ونفثت في قلبي وروحي الإيمان الصادق...

أجل! تلك القوة هي التي جعلتني أعشق الحقيقة هذا العشق الجنوني...

تلك القوة التي ساقت سلمان الفارسي من عبادة النار إلى عبادة رب النار..

تلك القوة التي ساقت أباذر من بطون الفيافي والصحراء إلى حيث الإيمان والتقوى..

تلك القوة التي أخرجت عمر من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن..

تلك القوة التي تخرج الناس على مر الدهور وكر الأزمان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد...

أجل! ليست هي إلا مشيئة الله - عز وجل -وقدرته ورحمته بي، الله الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ

وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] ومالك الملك والملكوت، ربنا ورب كل شيء.

أرى نفسي قد جننت من شدة محبتي لله – عز وجل –، نذرت حياتي له ولا أرجو سواه، بعت له كل ما أملك رجاء أن يهبني رضاه، ولا أقيل في بيعي ولا أستقيل!

لست أبدا نادما على ما ضاع مني، بل إنني فخور جدا على ما حصلت عليه، وأرجو ربي أن يجعلني بجوار سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي ترك الدنيا ونعيمها طمعا لرضوان الله وجنانه، ومات ولم يجدوا له كفنا!

قطعت آمالي ورجائي من الخلق كلهم، وليس لي أمل إلا إليه، ولا رجاء لي إلا بين يديه، فهو ربي ومولاي وهاديي ونصيري، فنعم المولى ونعم النصير...

ولي من الله – عز وجل –سؤالين أرجوه ألا يحرمني منهما:

الأول: أرجوه سبحانه رجاء من كثرت ذنوبه وقلّت حسناته ولم يجد إلاه سامعا مجيبا أن يكتب إخواني "محمد رضا موسايي" و"علي رضا محمدي" و"أرسطو رادمهر" في الشهداء وأن يجمعني شهيدا بهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، إخوانا على سرر متقابلين.

الثاني: أن يهدي كل هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات الضلالة، وفي براثن الجهل والبدع والخرافات والأساطير والإفراط والتفريط، والشك والتردد، ولا سيما والديَّ العزيزين إلى الحق المبين والصراط المستقيم، فإنه الهادي وهو الذي ﴿... يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

وإذا كان قد كتب لي أياما أخرى لأعيش فيها على هذه الأرض فليملأها صبرا وثباتا وإيمانا وصلاحا وتقوى، ويوم أن يأخذ هذا العاشق الولهان ـ أو المجنون ـ إلى الدار الأبدية، لا يحرمه من رحمته ومغفرته، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وحسبي الله ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير...

وأرى من واجب الشكر أن أتقدم بجزيل شكري وامتناني لأخي العزيز أبي عبد الله الذي تحمل لأجلي الكثير والكثير...

مرتضى رادمهر

"حجة الإسلام" الحوزة العلمية بقم سابقاً

وطالب كلية الطب بجامعة الشهيد بهشتي في طهران سابقاً

والمهاجر المجهول حالياً

١٩/ ٣/ ١٣٨٠ش الموافق لـ ٢٧/ ربيع الأول/ ١٤٢٣هـ

## في ذكرى رجل من الخالدين: الشهيد مرتضى رادمهر....

استقبلني ابني محمد أمام الباب وقال لي: بابا، عمو مصطفى اتصل اليوم أكثر من مرة.

رفعت سماعة الهاتف و اتصلت بصاحبي مصطفى في جنوب كراتشي. سعد مصطفى بسماع صوتي، وقال بأسلوبه الدعائي الجميل: يا دكتور، معي ضيف عزيز، إذا تسمح أعرفكم عليه. ما الوقت الذي تراه مناسبا لزيارتكم؟

مصطفى رجل من دعاة أهل السنة في إيران، قضى عدة سنوات في الزنازين الإيرانية و عذب أشد التعذيب، فقد قلعوا في السجن إحدى عينيه، و كسروا ساقه اليمنى، و الآن مع أن عظام ساقه قد انجبرت إلا أنه ما زال يتعرج و لا يستطيع المشي سليما.

تعرفت عليه قبل بضعة سنوات لما هاجر إلى كراتشي. رجل تذكرك بالله رؤيته، نشاط و حب و أخلاق، و وجهه كالقمر يشع نورا و إيمانا و إخلاصا. مع أن أعوام السجن و التعذيب القاسي استطاعت أن تقلع عينه اليسرى إلا أنها لم تستطع أن تزيل الجمال، أو تطفئ نور الإيمان في وجهه. أمزح معه دائما و أقول له: ما أسعدك يا مصطفى! فقد ضمنت لنفسك الجنة، سبقتك عينك إلى الجنة، فيوم القيامة تقول لربك أنك ستدخل الجنة لتأخذ عينك، ثم لا ترجع! ادع لنا نحن المساكين!

يخرج زفيرا من أعماق صدره و يبتسم و يقول: آه.. آه.. يا دكتور، الجنة عروس مهرها غال. ادع لي بالثبات. أخاف أن تتبرأ عيني عني فأبقى وراء أبواب الجنة بلا عين!

شاب ظريف، لا تكاد تراه إلا و تحبه. لم تستطع أيام الهجرة القاسية في باكستان أن تقصم ظهره أو تضعف عزائمه. يقول لي: أنني في أشد أيام الهجرة أتذكر أيام السجن، فأشعر براحة و طمئنينة و أقول في نفسي؛ حقا كانت عبودية سيدنا يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر أفضل له من البقاء في البئر المظلمة مع الحيات و العفاريت!

كانت صلتي به أخوية، ولم يكن بيننا شيء من المجاملات. ولما قال لي من وراء الهاتف؛ ما الوقت المناسب لزيارتكم، أدركت بأن ضيفه رجل عزيز و غال عليه.

قلت له: تفضلوا، شرفوني بعد صلاة العصر.

لما عدت من المسجد بعد صلاة العصر وجدت مصطفى برفقة شاب نحيل يملأ الحياء سيماءه ينتظرني أمام البيت.

سلمت عليهما و عانقتهما و أخذتهما إلى غرفة الضيوف.

عرف مصطفى صديقه، فقال: أخي الدكتور مصطفى رادمهر. كان من أنشط علماء الشيعة في جامعات مدينة قم الإيرانية، بعثته الحكومة ليناظر "مولانا محمد عمر سربازي" في بعض القضايا العقدية و التاريخية، و يتجسس عليه. فكان من فضل الله عز وجل عليه أن شرح صدره للتوحيد، فأعتنق مذهب أهل السنة و الجماعة و ترك البدع والخرافات التي كان يؤمن بها.

ثم ابتسم و قال: أو بعبارته التي يصر عليها: نجاه الله من الشرك، و من عليه بالإيمان!

كان مرتضى ينظر إلى الأرض، و بعض العبرات تسيل على خديه و يقول بصوت خافت: الحمد لله. حمدا لك يا ربي على نعمة الإسلام والإيمان، و ما أعظمها من نعمة!

التفت إلى مرتضى و قلت له: أهلا و سهلا بكم، سعدت بلقائكم. ثم قلت له: لماذا يا أخي لا تقول: أصبحت سنيا، لماذا تصر أن تعرف نفسك مشركا من الله عليه بالإسلام.

رفع رأسه و أخرج زفيرا حارا كادت روحه تخرج معه، وقال: يا دكتور، لعل حضرتك لا تعرف المذهب الشيعي جيدا. أنا درست في الجامعات المذهبية، وهذا ما وصلت إليه بعد الدراسة و التحقيق و العلم.

كنت أشعر في قرارة نفسي أنه شاب مخلص و صادق. كانت عباراته تدخل إلى القلب مباشرة. ما كنت ترى في ملامح وجهه إلا الصدق و الإخلاص.

لكنني كنت كالملدوغ الذي يخاف من الحبال و يظنها حيات و عقارب! فقد سبق أن زعم كثير من شباب الشيعة أنهم أصبحوا من أهل السنة، فكانوا يدخلون بين الجماعات السنية و يتجسسون عليهم لصالح إيران. فلم أكترث كثيرا بكلام هذا الشاب، و تصنعت بعض الجفاء و قلت له بشيء

من الصراحة المصطنعة: يا أخي، أنا لا يهمني من أنت، إن كنت من المخابرات الإيرانية فلك ذلك. و إن كنت رجلا صادقا مخلصا مؤمنا فهذا شأنك. فالحياة عندي أغلى و أعز من أن يضيعها الإنسان بالخيانة و الكذب و الدجل. فسرعان ما نموت و غدا سيتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود و تنكشف الحقائق، و سوف يفضح أمرنا إن كنا كاذبين.

لكنك إن تسمح لي فلي نصيحة أخوية لك: إن كنت صادقا فيما تقول، و أصبحت من أهل السنة و الجماعة، فاعلم بأننا نحن السنة لا نشكو من قلة العدد حتى تزيدنا أنت عددا. و لا ينقصنا العلم و العلماء لنلجأ إليك.

و إن كنت حقا تؤمن بأن قومك مشركون ضلال و قد انحرفوا عن الدين الصحيح، فهم أولى بك منا، و هم أحوج بك. فارجع إلى بلدك و حاول أن تخرج قومك من ضلال الكفر و الشرك إلى نور الإيمان. هذا هو واجبك!

رفع الشاب وجهه، و فجأة وقعت بريق عينيه في عيوني. فرأيت فيهما الصدق و الإيمان، فاستحييت من نفسي و شعرت بشيء من الإحراج، و خفت أن أكون قد ظلمت الرجل بكلامي..

لكنه قال بصوت هادئ وقور: نعم يا أخي، الحق معك.

استغرب مصطفى من استقبالي البارد لهذا القادم الجديد. فلم يكن يتوقع مني ذلك أبدا. أراد أن يلطف الجو قليلا. فنظر إلى صاحبه و أخذ يتصنع ضحكة، وقال له: يا أخي مرتضى إياك إياك أن تحمل من الدكتور شيئا في قلبك. هو الآن غضبان علي و يحاول أن ينتقم مني. فقد عرفته قبل فترة على شاب من المخابرات الإيرانية زعم أنه أصبح سنيا.. لهذا أنا لا ألوم الدكتور، ولكن لم أكن أعلم الغيب. و لعلني تسرعت في التعامل معه بشيء من السذاجة.. والآن يريد الدكتور أن يحاسبني على سذاجتي السابقة. ومعه الحق. لكن يا مرتضى هذا الرجل قلبه كالمحيط، لا يحمل كدرا، ولا تزعزعه الأمواج و الطوفان. و سترى ذلك بعد أيام. سنعود إليه و قد زالت عنه السحب و سكن غضبه علي، فتراه حديقة غناء كلها ورود و أزهار و ليس فيها أشواك!...

مع أذان المغرب استأذنوني للإنصراف. و عندما ودعتهم قدم لي الشاب هذا الكتاب الذي بين يديك أيها الأخ القارئ وقال لي: هذه بعض خواطري سجلتها لأخفف عن نفسي. أرجو أن تقرأها

و تدعو لي بالثبات و التوفيق. فأنا لا أريد منكم إلا الدعاء. و أسأل الله العلي القدير أن يجمعنا جميعا في الفردوس الأعلى مع الأنبياء و الصديقين و الشهداء والصالحين إخوانا على سرر متقابلين.

تعانقنا طويلا. كانت دموع الشاب تسيل على خديه. قبلت وجهه وقلت له: إلى اللقاء إن شاء الله...

ولما عانقت صاحبي مصطفى همس في أذني: لم أكن أتوقع منك هذا. أين رأفتك و شفقتك و تأليفك للقلوب؟!

ثم رفع صوته و قال: يا دكتور، لا تظن أنك استطعت أن تخدعنا بكلامك هذا. يا بخيل، أردت أن تهرب من العشاء. لكن اطمئن لن أترك أخي مرتضى يسافر من كراتشي قبل أن نتعشى عندك.

سبحان الله!.. كنت قد نسيت تماما أن أعزمهم على العشاء. اعتذرت عنهم و قلت لهم: لو تكرمتم و شرفتموني و تعشيتم معي، والله سأسعد بكم كثيرا.

ضحك مصطفى عاليا وقال: لا فائدة للندم. لن نغفر لك بخلك هذا إلا أن تدعونا إلى أفخم مطعم في كراتشي. لكن لابد و أن تخبرنا قبل الموعد بأسبوع لنستعد جيدا. فنواصل الصوم حتى نستطيع أن نخسرك جيدا.

ابتسم مرتضى بكل أدب و احترام وقال بصوت رصين: لم يقتلني جلادوا الإمام المهدي، لكنك يا مصطفى تريد أن تقتلني جوعا.

وضع كل صديق كفه في كف صاحبه و ابتعدا عني...

لقطة الوداع و دموع مرتضى على خديه ظلت تعذبني فترة طويلة، فقد كنت أشعر بالذنب لتعاملي البارد معه. بعد صلاة العشاء قلت لزوجتي لا أشتهي العشاء، أرجو ألا تزعجوني. و دخلت غرفة المطالعة و أغلقت الباب على نفسي، و أخذت أقرأ في هذا الكتاب. فقد كنت أرى الصدق و الإخلاص وراء كل كلمة فيها، لم أستطع أن أغمض عيوني في تلك الليلة، و كنت أشعر بالذنب. كنت أشاهد صورة هذا الشاب وراء كل حرف من حروف كتابه و الدموع على خديه...

حاولت في صباح اليوم التالي أن أتصل بصاحبي مصطفى لأدعوه مع صاحبه للعشاء. لكنه لم يكن يرفع الهاتف، ولم يرد تلفني إلا بعد صلاة العصر. و أخبرني بأن صاحبه سافر إلى كويته.

أحيانا كنت اسأل مصطفى عن صاحبه. قال لي مرة أنه تزوج في كويته، و أخبرني بعد فترة بأنه رزق طفلا.... ذهبت الأيام و بدأت أنسى حكاية هذا الشاب...

مرت على هذه الحكاية بضعة أعوام، يوم أن سافرت إلى مدينة زاهدان في إيران. تمثل زاهدان بالنسبة لي مدينة الذكريات. فقد قضيت فترة طويلة من عمري في هذه المدينة. كلما أجد فرصة أحاول أن أزور هذه المدينة لأجد ذكرياتي فيها و ألتقي ببعض الأحبة و أصل بعض من فيها من أقاربي...

صليت صلاة العصر في مسجد الجامع، ثم ظللت جالسا في مكاني أذكر الله عز وجل و أقرأ أذكار المساء. شعرت بأن شابا نحيفا، مصفر الوجه و كأنه مريض يحملق في. تقدم قليلا و جلس بجواري. لم ألتفت إليه. رسم ابتسامة حلوة على شفاهه المصفرة النحيلة، وكان رأسه يتحرك من شدة الضعف دون إرادة منه. فقال في هدوء: أولا تعرفني يا دكتور؟

سلمت عليه، و صافحت يديه و كأنني أصافح قطعتين من الخشب البارد. قلت له: عفوا يا أخي، أ كان لي شرف التعرف عليكم سابقا؟!

ابتسم و قال مازحا: والله لم أكن أعرف أنني ازددت جمالا إلى درجة أن الناس لم يعودوا يميزونني. فلله الحمد!

كان يحاول أن يوقف رجفة يديه، لكنه لم يكن يستطيع ذلك. و لما شعر أنني لاحظت رجفة يديه استحيا و حاول أن يخفيهما، فجعلهما وراء ظهره.

سكت قليلا، ثم رفع رأسه و قال: خادمك؛ مرتضى رادمهر! وقد تشرفت بزيارتكم في بيتكم في كراتشي برفقة الأخ مصطفى...

لا أدري ماذا حدث. شعرت بدوخة شديدة في رأسي، و كأن الدنيا انقلبت رأسا على عقب، و في لحظة عادت شريط الذكريات تمور في وجداني، تلك الذكريات المريرة، ذلك الشعور بالذنب، تلك الآمال التي كانت تشدني للقاء هذا الشاب المؤمن. تعرق جسمي بشدة و شعرت بشيء من الرجفة في جسمي.. لا أدري كيف قمت و حضنته.. كيف كنت أقبل وجهه و رأسه كالمجانين.. لم أشعر بنفسي إلا و قد وجدت نفسي؛ أننا تعانقنا و نبكي بكاء الثكالى..

كان المصلون قد انصرفوا. و لم يكن في المسجد أحد. بعض الطلبة كانوا يرمقوننا من بعيد، و يستغربون من بكاءنا...

كانت الدموع تنهمر من عيني، و كنت أرتجف بشدة، قلت: مرتضى! يا رجل ماذا أصابك؟ بالله عليكم أنت مرتضى؟ لا.. لا.. لا والله، لا أستطيع أصدق. هذا ليس شكلك.. تغيرت يا رجل.. لماذا نحفت هكذا. لماذا اصفر لونك. هل أنت مريض؟ يا رجل ماذا فعلت بنفسك..

تمالك نفسه و ابتسم وقال: أعرف جيدا، كنت تظن في كراتشي بأنني جاسوس. و الآن تراني هنا في إيران! فلم يبق أمامك أي شك في اتهامي بالتجسس و العمالة...

لم يكن يقصد بكلامه هذا شيئا، و إنما كان كله صدقا و إخلاصا و بساطة. قلت له: أرجوك لا تؤنبني بكلامك هذا، قل لي؛ ماذا أصابك؟

هنا وصل إلينا صديقي الذي كنت ضيفا عنده، ولاحظ آثار الحزن العميق التي ترسمت على وجهي، فساقنا إلى حجرته في المدرسة الدينية بجوار المسجد.

كان مرتضى يحكي حكاياته، فكان يقول: لم أكن أشعر بالراحة في أرض الهجرة، كنت أقول في نفسي لابد و أن أنجي أسرتي و أصدقائي و جميع شعبي من الضلال، لابد و أن أخرجهم من الشرك و عبادة القبور و البدع، لابد و أن أفتح لهم نافذة نحو النور و التوحيد. و أخيرا قررت أن أخوض تجربة خطيرة و أعود إلى إيران للدعوة. لكن كانت المخابرات علي بالمرصاد، فبعد فترة وجيزة قبضوا علي، و أخذوني إلى سجن مدينة "كرمان".

و أخذ يحكي بعضا مما لاقاه من التعذيب و العذاب في السجون. و كنا نشعر بالخوف و القشعريرة، و يقف الشعر على رؤوسنا من وحشية هؤلاء الجلادين.

لم أكن أتصور يوما ما أن الإنسان قد يصل إلى هذه الدرجة من الذل و الوحشية. ولولا أنني رأيت مرتضى و سمعت هذه الذكريات المؤلمة من فمه و رأيت آثارها على جسمه، فوالله ما كنت أستطيع أن أصدقها أبدا. لم يكن يخطر ببالي قط أن يتجاوز الإنسان الوحوش الضارية و الذئاب الجائعة في افتراس أخيه الإنسان، و يعامله بهذه الوحشية بعيدا عن كل معاني الإنسانية و الأخلاق و الحياء. فأخذت أردد في نفسي أشعار الإمام الشافعي:

نعيب زماننا و العيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
و ليس الذئب يأكل لحم ذئب ... و يأكل بعضنا بعضا عيانا

وكان صبر مرتضى رادمهر و ثباته تحت هذه الصور الوحشية من التعذيب التي يشيب من هولها الولدان لخير دليل على لذة الإيمان و على معجزة هذا الدين الذي يصنع من هذا الإنسان الضعيف جبلا شامخا لا يعرف الخنوع و الذل و الهوان. و على أن الله عز وجل ينزل الصبر على قدر عظم البلاء و المصائب.

ففي سجن "كرمان" لم يكن رادمهر هو الذي يصبر تحت آلات التعذيب المخيفة و اللذعات الكهربية وحرارة المكواة و شهوة الجلادين و وحشيتهم، و إنما كان الإيمان يناطح الكفر و الضلال و يقاوم شراسته. فلا يستطيع الفولاذ و الحديد و الوحوش الضارية أن تقصم ظهر الإيمان. وأن الإيمان هو وحده الذي ينتصر في معركة الكفر و الإيمان....

كنت رأيت أكثر من مرة بعض علماء أهل السنة و طلبة العلم و المثقفين و الكتاب في إيران يحملون إلى السجون، ثم يدخل في أجسامهم سم خطير يعذبهم فترة قبل أن يقتلهم، و كان آثار ذلك السم تظهر في؛ اصفرار لون الوجه و الجسم، ثم تأخذ الأيادي في الرجفة المستمرة، و يضعف الجسم شيئا فشيئا، و بعد فترة وجيزة يسقط الإنسان جثة هامدة لا روح فيها...

كانت الدموع تسيل على خدي مرتضى و هو يقرأ لنا بعض قصائده التي نظمها تحت التعذيب في زنازين الفراعنة الطغاة، و كان قد اجتمع في الحجرة عدد كبير من طلبة العلم، وكلهم كانوا آذانا صاغية له وعيونا باكية عليه.

قطعت كلامه و قلت له: أخي مرتضى، ألم يحقنوك في السجن شيئا مريبا.

ابتسم وقال في هدوء: رحمك الله.. والله أول ما كانوا يبدأون بالتعذيب كان يغمى علي، وكنت أشعر بسعادة و حلاوة ولذة عجيبة من تعذيبهم إياي. فوالله كنت أشعر بلذة الإيمان و أتلذذ من عذابهم وكأنني في الجنة، ولما كانت المكواة تحرق جسمي كنت أشم رائحة الجنة. و أتمنى أن يستمروا. و كنت أشعر باعتزاز شديد بعقيدتي و إيماني. و لم يكن يؤذيني إلا شيء واحد، فقد كنت أرى بأنني

سأدخل الجنة قريبا، لكن يظل قومي يتخبطون في الضلال و الشرك. و لم يكن بإمكاني أن أخرجهم من الضلال. كنت أتمنى أن تتاح لي فرصة أتمكن من دعوة قومي و هدايتهم.

حضنت مرتضى و قبلت رأسه و وجهه الشاحب المضطرب، وقلت له: والله إنك مثل ذلك الرجل الذي حكى الله عز وجل حكايته في القرآن الكريم: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٥-٢٧].

و قلت له: لا تحزن أخي، فإن الله سيمن عليك بنعمة الشهادة، و إن دعوتك ستصل إلى جميع المبتدعة و المشركين و الخرافيين من قومك. و إن الهداية بيد الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. و أن الذي يسعى للوصول إلى الحق والسعادة و الهداية لن تحجب عنه الهداية.

ثم رجوته أن يخصني بدعوات صالحات، فقد كنت أشعر من أعماق نفسي أن الرجل يعيش في أجواء روحانية عالية و أنه شهيد عند الله يقضي ساعاته الأخيرة ليكمل ما بقي من رزقه، و أن الله لم يقبض روحه ليكون عظة و دعوة لمن يلتقي به.

ثم لما ودعته، قلت للشباب الذين تجمعوا هناك: أدعو الله عز وجل لأخيكم الشهيد مرتضى رادمهر رحمه الله..

تعجب القوم من كلامي و قالوا: ماذا تعني يا دكتور؟!

نزلت الدموع على خدي، و أخذ الحزن العميق يضغط حلقي و كاد يخنقني، فقلت في هدوء: إنا لله و إنا إليه راجعون، لله ما أعطى ولله ما أخذ، و إن العين لتدمع و إن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله. إخوتي، فقد قتلوا أخاكم مرتضى، فقد أدخلوا سما خطيرا في دمه، فهو لن يبقى في هذه الدنيا إلا أياما معدودة، سيطير إلى ربه ليكون شاهدا على وحشية البشر!... رحمك الله يا مرتضى...

انفجر الجميع بكاء. وساد الجو حزن شديد، وبقي الجميع واقفين في أماكنهم كالأعمدة الخشبية، ولم نحس بأنفسنا إلا بعد أن ارتفع صوت أذان المغرب في المسجد عاليا.

رجع مرتضى إلى أهله في كويته. و مرة أخرى عادت السعادة و الهناء والفرح إلى هذه الأسرة التي عاشت الويلات والفقر في غياب الأب المجاهد. لكن لم تستمر هذه السعادة طويلا، فبعد بضعة أيام فقط شعرت البنت الصغيرة أن وجه أبيها أصبح أشد تلألؤا و نورا، و أن بسمته صارت أكثر بهاء و

جمالا، وأن عيونه تنظر سعيدة إلى الأعلى، لكنها جامدة لا تتحرك. أخذت الصغيرة تقبل أباها و تناديها و لكن لا تسمع جوابا. فأخذت تبكي و تصرخ عاليا.. و عندها أدرك الناس بأن الشهيد لبى دعوة ربه و اختار الرفيق الأعلى، و ترك لهم جثة هامدة تذكارا لأيام المحنة القاسية...

شرب مرتضى رادمهر كأس الشهادة التي قدم له في سجون "كرمان" بعد أن عاد إلى حضن أسرته في كويته، وبعد أن ودع ابنته الوحيدة، ليذهب إلى ربه، ويقدم شكاواه المؤلمة إلى الحكم العدل و ليكون شاهدا على هؤلاء الفراعنة الذين استعبدوا الناس بعد أن ولدتهم أمهاتهم أحرارا، و أخذوا يصدون الناس عن سبيل الله و يرمون كل من آمن بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا و رسولا و كفر بأهوائهم و بدعاتهم و شركياتهم في زنازين الظلم و الطغيان..

ذهب رادمهر... لكن بقيت دعوته..

ذهب مرتضى، لكن ظلت روحه تنتقل بين الشباب في إيران و توقظهم من سباتهم و نومهم العميق..

زرع رادمهر شجر الهداية و السعادة و النهضة في إيران، و أذن بأعلى صوته أذان التوحيد في أرجاء الوطن وصك به آذان الشرك و الضلال...

و ترى اليوم في كل بقعة من بقاع الوطن شبابا مؤمنين عاهدوا الشهيد رادمهر على الثبات في طريق الهداية و السعادة..

وغدا بإذن الله سترفع سماء إيران أذان التوحيد في كل أرجاء الوطن و ستسعد روح مرتضى في العليين...

سنحيي ذكرياتك يا شهيدنا.. و سنظل صامدين على طريقك... و ستبقى دعوتك خالدة إلى يوم الدين...

فاسعد و نم قرير العين يا شهيد التوحيد و السعادة...

يا مرتضى رادمهر الذي كتب لنفسه الخلود و الحياة..

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

د/ ع. س

## التذييل...

**عزيزي القارئ..**

**أخي المسلم وأختي المسلمة..**

هذا الكتاب في الواقع رسالة أقدمها إلى جميع إخواني من الشيعة وإلى الشباب والجيل الجديد وإلى رجال المستقبل الذين يبحثون عن الحقيقة، والذين تعبوا من ألاعيب أهل الباطل والضلال، وكرهوا مكر أصحاب الأهواء من تجار المذهب والدين...

وقد نذرت نفسي ـ بإذن الله ـ لأكون دوما في خدمة كل من يبحث عن الحقيقة.

وأنا أعلن استعدادي التام للقاء ومدارسة كل من يتعطش إلى الحق، ولمناظرة كل من يشك فيما أعتقده...

وقد كتبت بحوثا في المواضيع الآتية:

- زواج المتعة وآثاره على عالم التشيع.
- تحريف القرآن في عالم التشيع.
- هل أهل السنة والشيعة إخوان متساوون؟
- الجيل المحروق (دراسة تبحث في عقيدة وإيمان الجيل الجديد بعد الثورة الخمينية في إيران)

وستنشر قريباً وتصل إلى أيدي طلاب الحقيقة بإذن الله – عز وجل –...